الضائع من معجم الأدباء

لياقوت الرومي الحموي

إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب المعروف أيضاً بمعجم الأدباء كان قد شرع في طبع ما وجده منه الأستاذ المستشرق المشهور « د . س مرغوليوث » سنة « ١٩٠٧ م » وهو يومئذ أستاذ الأدب العربيّ في جامعة أوكسفورد بانكلترة . وكان الطبع في مطبعة هندية بشارع المهدي بالأزبكية من القاهرة . وقد أخرج الجزء الأول سنة « ١٩٠٧ » أيضاً ، ثم أخرج الجزء الثاني سنة « ١٩٠٩ » وكانا كاملين في الظاهر ، ثم طبع الجزء الثالث سنة « ١٩١٠ » وكان ناقصاً ، فقد جاء في أوله ما هذا نصه « باب الحاء : الحارث بن أبي الملاء عمار بن العريان أبو سفيان (سقطت الترجمة) . حبشي [1] بن محمد بن شعيب الشيباني أبو الغنائم النرسوي الضرير ... » . وحدث في أثنائه نقصان لم ينتبه له الأستاذ مرغوليوث ، وهو في ترجمة « الحسن بن علي الاسكافي » فقد اختلطت ترجمته بترجمة الحسن القطان ، وذلك ثابت بقول ياقوت — ص ١٦٩ — : « وكنت عند كوني بمرو عرض عليّ شيخنا فخر الدين أبو المظفر عبد الرحيم بن تاج الاسلام أبي سعد السمعاني — تغمدهما الله برحمته — جزءاً يشتمل على رسائل للحسن القطان [2] إلى الرشيد الوطواط محشوة بالسبّ له والثلب تصريحاً لا تعريضاً ... » [3] ولم يفطن الأستاذ مرغوليوث الى هذا التداخل بين الترجمتين فعدّ قسماً مما ورد في « ص ١٦٩ » وما ورد في

---

(١) له ترجمة في « نكت الهميان في نكت العميان » للصلاح الصفدي « ص ١٣٣ » وبغية الوعاة للسيوطي « ص ٢١٤ » .

(٢) هو أبو علي الحسن بن علي بن محمد المروزي القطان كما في بغية الوعاة « ٢٢٤ » .

(٣) وقد أجابه رشيد الدين الوطواط عن تلك الرسائل بكتب مثبتة في ديوان رسائله « ص ١٨–٢٦ » . وذكرها ياقوت في ترجمة القطان المذكور .

الصفحات « ١٧٠ ، ١٧٩ — ١٧٩ » من ترجمة الاسكافي مع أنها مختصان بترجمة القطان . وحدث في آخر الجزء الثالث نقصان أيضاً ، فقد جاء في ترجمة « أبي محمد الحسن بن محمد المهلبي الوزير » ما هذا نصه (قد سقطت من نسختنا أوائل الترجمة) ، وسقطت ترجمة « ابن هودار » فقد جاء في آخر ترجمة « الحسن بن المظفر النيسابوري » — ٢١٥ — « قال أبو علي الضرير : رأيت ابن هودار في المنام بعد موته ... » . وينتهي الجزء الثالث بترجمة « الحسن بن ميمون النصري » . في « ص ٢١٥ » . وقال طابعه في آخره : « انتهى القسم الأول من الجزء الثالث » . وفي هذا القول إشارة إلى وجود قسم ثان لهذا الجزء ، ولكنه مفقود ، ولو كان موجوداً لنشره مع القسم الأول ، ثم طبع الأستاذ المذكور الجزء الخامس سنة « ١٩١١ م » والجزء السادس سنة « ١٩١٣ » وبقي الجزء الرابع والجزء السابع غير مطبوعين ، ثم طبع مختصر الجزء السابع سنة « ١٩٢٩ » باعتبار أنه الجزء السابع بكماله ، ثم طبع الجزء الرابع أو مختصره سنة « ١٩٢٧ » .

وأول ترجمة في الجزء الرابع هي ترجمة « الحسن بن أبي المعالي بن مسعود بن الحسين أبي علي ابن الباقلاني الحلي » . وآخر ترجمة في الموجود منه هي ترجمة « عبد الله بن برّي بن عبد الجبار أبي محمد المصري » كما جاء في « ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ » منه وهي ناقصة ، ولذلك قال الناشر في آخر صفحة من الكتاب : « هنا خرم في النسخة الأصلية مقداره بحسب المسدد الذي على الصحائف « ٦٥ » صحيفة ، وآخر ترجمة فيه بعد هذا الخرم ترجمة « عبيد بن شرية » الآتية في « ص ١٠ » من المجلد الخامس .

ومختصر الجزء السابع يبتدئ بترجمة « محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين بن عبدالوراث أبي الحسين الفارسي ابن أخت أبي علي الفارسي » . وينتهي بترجمة « يونس بن إبراهيم الوفراوندي » قال الناشر في آخره — ص ٣١٣ — : « انتهى الجزء السابع من كتاب معجم الأدباء » . وقد لحظت أنّ في الجزء الرابع والجزء السابع على اعتقاد أصالتهما تراجم من تراجم الشعراء الذين لم يستحقوا أن يسمّوا بالأدباء ، كالحسين [1] ابن حجاج (ج ٤ ص ٦)

(١) هو الحسين بن أحمد بن محمد المعروف بابن حجاج وفي قول آخر « بابن الحجاج » على اللبح .

والحسن بن الحسن بن واسان الدمشقي (ص ١٧) والحسين بن الضحاك الخليع « ص ٣٠ » والحسين بن عبد الله بن يوسف المعروف بابن شبل البغدادي « ص ٣٨ » والحسين بن عبد الله ابن رواحة الأنصاري « ص ٤٧ » والحسين بن عبد الله بن أحمد المعروف بابن أبي حصينة المعرّي « ص ٦٤ » ولو وصفه ياقوت بالأديب الشاعر ، والحسين بن عبد السلام المعروف بالجمل المصري « ص ٧٦ » والحسين بن محمد بن عبد الوهاب المعروف بالبارع البغدادي « ص ٨٨ » والحسين بن مُطير الأسدي من الشعراء المخضرمين بين الدولتين الأموية والعباسية « ص ٩٧ » . وأبي زبيد حرملة بن المنذر الطائي من المخضرمين بين الجاهلية والاسلام « ص ١٠٧ » وحفص الأموي بالولاء من مخضرمي الدولتين ، والحكم بن عبدل الأسدي من شعراء الدولة الأموية « ص ١٢٣ » والحكم بن معمر بن قنبر الخضري أحد الشعراء الاسلاميين « ص ١٢٨ » والأعور الشكابي حكيم بن عياش من شعراء بني أمية « ص ١٣١ » وحماس بن ثامل من مخضرمي الدولتين « ص ١٤١ » وحمزة بن بيض الحنفي الكوفي من شعراء الدولة الأموية « ص ١٤٦ » وحمزة بن علي العين زربي « ص ١٥٢ » وحميد بن ثور من المخضرمين « ص ١٥٣ » وحميد بن مالك الأرقط من الشعراء الاسلاميين « ص ١٥٥ » وحُميد بن مالك الكناني « ص ١٥٦ » وحُميدة بنت النعمان الأنصارية « ص ١٥٧ » وخالد الزبيدي اليمني « ص ١٥٩ » والبعيث خداش بن بشر التميمي من شعراء الدولة الأموية « ص ١٧٣ » وخرقة ابن نباتة الشكابي « ص ١٧٥ » والخضر بن هبة الله الطائي « ص ١٧٧ » وخلف بن أحمد القيرواني « ص ١٧٨ » وخويلد بن خالد الهذلي من المخضرمين « ص ١٨٥ » وخيار بن أوفى النهدي من الشعراء الاسلاميين « ص ١٨٨ » وداود بن سلم التميمي بالولاء « ص ١٩١ » ودكين بن رجاء الفقيمي الراجز « ص ١٩٨ » ودكين بن سعيد الدارمي الراجز « ص ٢٠٠ » وذي القرنين أبي محمد الحسن بن ناصر الدولة عبد الله التغلبي « ص ٢٠١ » وراشد بن إسحاق ابن راشد « ص ٢٠٣ » ومسكين الدارمي ربيعة بن عامر من الشعراء الاسلاميين « ص ٢٠٤ »

وربيعة بن يحيى المعروف بأعشى تغلب من شعراء الدولة الأموية « ص ٢٠٧ » وربيعة بن ثابت الأسدي من شعراء الدولة العباسية « ص ٢٠٧ » ورسته بن أبي الأبيض الأصبهاني الضرير « ٢١٠ » وابن ميادة الرماح بن أبرد من شعراء الدولتين الأموية والعباسية « ٢١٢ » ورؤبة بن العجاج الراجز من مخضرمي الدولتين « ص ٢١٤ » وأسير الهوى زاكي بن كامل الهيتي « ص ٢١٥ » . وزائدة بن نعمة التستري « ٢١٦ » وأبي دلامة زند بن الجون الأسدي بالولاء «ص ٢١٠ »وزياد بن سلمى الأعجم العبدي من الشعراء الاسلاميين«ص ٢٢١ » وزيد بن الحسن الأحاظي « ص ٢٢٣ » والسائب بن فروخ المكي من شعراء بني أمية « ص ٢٢٥ » والسري الرفاء « ص ٢٢٦ » وسعد بن الحسن بن شداد الناجم « ٢٣١ » وسلم بن عمرو التيمي بالولاء من شعراء الدولة العباسية « ٢٤٧ » وسليمان بن مسلم بن الوليد الضرير « ص ٢٥٤ » وسهل ابن إبراهيم الوراق « ص ٢٥٩ » وشبيب بن يزيد ابن البرصاء المري من شعراء الدولة الأموية « ص ٢٦٠ » وسَدّاد [1] بن إبراهيم بن حسن الظاهر الجزري « ص ٢٦١ » وطريح بن إسماعيل الثقفي من مخضرمي الدولتين « ص ٢٧٦ » وظافر بن القاسم الحداد الاسكندري « ص ٢٧٨ » والعباس بن الأحنف « ص ٢٨٣ » .

هذه التراجم في الجزء الرابع الذي يكاد يكون معجماً للشعراء، ولعله أحد أجزاء معجم الشعراء الآتي ذكره ، من تأليف ياقوت أيضاً . وأما الجزء السابع بل مختصره ففيه من تراجم الشعراء الذين لم يوصفوا بالأدباء : محمد بن علي بن أبي مروان الأموي « ج ٧ ص ٤٧ » ومحمد بن لنكك البصري « ص ٧٧ » ومحمد بن مناذر « ص ١٠٧ » ومحمد بن نصر بن القيسراني « ص ١١٢ » ومحمد بن نصر ابن عنين الدمشقي « ١٢١ » ومحمد بن هانئ الأندلسي « ص ١٢٦ » والمؤمل

(١) ذكره ياقوت الحموي في حرف الشين « ص ٢٦١ » والصحيح أنه « سداد » بالسين المهملة ، كما جاء في باب السين من فوات الوفيات « ١ : ٣٤٠ » من طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد . وكما جاء قبله في الوافي بالوفيات للصلاح الصفدي .

ابن محارب المحاربي من مخضرمي الدولتين « ص ١٩٥ » والمؤيد بن عطاف الآلوسي « ص١٩٩ » ونجم بن سراج المقبلي « ص ٢٠٤ » ونصر بن أحمد الميزأرزي « ص ٢٠٦ » ونُصيب بن رباح من الشعراء الاسلاميين « ص ٢١٢ » ونصيب مولى المهدي « ص ٢١٦ » والفرزدق همام ابن غالب « ص ٢٥٧ » ومهذب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الشاعر « ص ٢٦٧ » ويحيى ابن عبد الرحمن الأندلسي « ص ٢٨٣ » ويحيى بن نزار المنجمي « ص ٢٩٣ » ويحيى بن مسذيل السكفيف « ص ٢٩٤ » ويزيد بن مفرغ الحميري « ص ٢٩٧ » ويزيد بن الطثرية « ص ٢٩٩ » ويعقوب بن الربيع أخو الفضل « ص ٣٠٢ » ويموت بن المزرع « ص٣٠٥ » ويوسف بن الحجاج ابن الصيقل الكوفي « ص ٣٠٦ » ويوسف بن هارون الرمادي « ص ٣٠٨ » ويونس بن سالم بن يونس الخياط من مخضرمي الدولتين « ص ٣١٢ » .

فكان الجزء الرابع والجزء السابع من معجم الأدباء منتزعان من معجم الشعراء لياقوت الحموي وهو أخبار الشعراء على تسمية أخرى (إن لم يكونا جزءين منه) وأضيف إليهما عدة تراجم من تراجم الأدباء . وقد ذكر ياقوت كتابه المذكور أعني أخبار الشعراء في أثناء كتبه قال في الكلام على « بركة زلزل » في معجم البلدان : « وكانت أخت زلزل تحت إبراهيم الموصلي فقال فيه في قصة ذكرتها في أخبار إبراهيم من كتاب (أخبار الشعراء) الذي جمعته » . وذكره أيضاً في الكلام على « الرملة » و « جفير » ومن المحتمل أنه ذكره في مواضع أخرى . وأذكر بهذه المناسبة ، كما يقال اليوم : ما قاله الأستاذ محمد عبد الجليل في مقدمة رسالة « عين القضاة الهمذاني » وقد نشرها في أوربة وقدم لها بمقدمة باللغة الفرنسية قال فيها : « نص ياقوت الحموي في معجم البلدان يختص بموت عين القضاة وموت أبيه وجده ، ويضيف الى ذلك قوله : كما ذكرنا في كتاب أخبار الأدباء . أي الكتاب الذي نشره مرغوليوث . ثم إن وستنفلد وبروكلمان لم يذكرا « أخبار الأدباء » في عداد كتب ياقوت الحموي ، ولكن الحاج خليفة ذكره في كشف الظنون منسوباً إلى تاج الدين علي بن أنجب البغدادي المعروف بابن الساعي

المتوفى بعد ستين سنة من وفاة ياقوت [1] ، ولعل بعض النسخ المخطوطة التي نشر عليها معجم الأدباء هي من تأليف ابن الساعي المذكور ، أو مأخوذة من نسخة لها صلة بكتابه ، فتكون جملة (كما ذكرنا في كتاب أخبار الادباء) زيادة أو شرحاً أضيفا إلى الأصل وهو أمر مستعمل مألوف في المعجمات [2] » .

وقد فات ياقوتاً ذكر فريق من الأدباء ، فمنهم من لم يطلع على تراجمهم ، كما يدل عليه كتاب « بغية الوعاة » للسيوطي ، ومنهم من لم يجدهم حريين بأن يذكروا في معجمه مع أنه نبه على أدبهم في معجم البلدان بحسب مواضع بلدانهم ، فالمهملون استخفافاً منه لهم أو غفلة منه عنهم ليسوا في عداد الذين عقدت هذا البحث في ذكرهم ، وإنما عقدته فيما ضاع من التراجم من معجم الأدباء حسب ، وعثرت عليه في مطالعاتي وتصفحاتي ، وأضفت اليه أشياء أخرى للافادة وهو التراجم الآتية :

١ — الحسن بن محمد التميمي القابسي المعروف بابن الربيب [3]

قال السيوطي : « قال ياقوت : طلب العلم بالقيروان واعتنى به علي بن محمد بن حفص النحوي القزاز ، وكان محباً له ، فبلغ به النهاية في الأدب ، وعلم الخبر والنسب ، وله في ذلك تأليف مشهور . وكان خبيراً باللغة شاعراً مقدماً قوي الكلام ، يشكلف بعض التكلف . وكان عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي يروي له ما لا يروي لأحد من الشعراء ، سئل عن شعر أهل بلده فقال : إن ثَمَّ ابن الربيب ، مات بالقيروان سنة عشرين وأربعمائة » [4].

---

(١) الصحيح بعد « ثمان وأربعين سنة » : ٦٧٤ — ٦٢٦ = ٤٨ .

(٢) مقدمة رسالة « شكوى الغريب عن الأوطان إلى علماء البلدان الصفحة ٤ » . تفضل العلامة الفاضل محمد عبد الجليل في الجريدة الآسوية ، في شباط ومارت سنة ١٩٣٠ .

(٣) في الأصل الذي هو بغية الوعاة « الزبيب » وهو مستبعد عندي ، والمتعارف هو ما ذكرت .

(٤) بغية الوعاة « ص ٢٣٠ » .

٢ — الحسن بن علي بن محمد بن إبراهيم بن أحمد القطان أبو علي المروزي البخاري .

ذكرت أن ترجمته اختلطت بترجمة حسن الاسكافي في المعجم (٣ : ١٦٩) قال السيوطي : « قال ياقوت : كان فاضلاً عالماً باللغة والأدب والطب وعلوم الأوائل المهجورة ، وكان ينصر مذهبهم ويميل إليهم ، شيخاً كبيراً محترماً ، يأخذ بأطراف من العلوم ، وغلب عليه اسم الطب وله في كل نوع تصنيف مأثور ، وتأليف بين أهل مرو مشهور ، وله دكان يقعد فيه للتطبيب ، ويؤذي الناس ويشتمهم إذا سئل عن شيء من المداواة . وكان اشتغل [1] بالفقه والحديث في ابتداء عمره ثم أعرض عنه ، وكان يسمع الحديث على كبر سنه ويشتغل به تستراً وإظهاراً للرغبة في العلوم الشرعية ، والله تعالى أعلم بالعقيدة الباطنة ، وله تصانيف منها العروض ، مشجر نسب أبي طالب وغير ذلك . مولده بمرو سنة ٤٦٥ وقبض عليه الغز لما تغلبوا على مرو فمن قبضوا لجمل يشتمهم وهم يحتون التراب في فمه حتى مات في العشر الأوسط [2] من رجب سنة ٥٤٨ [3] » .

تتمـــة

وقال ظهير الدين البيهقي : « عين الزمان الحسن القطان المروزي ، كان من تلامذة الأديب أبي العباس اللوكري ، وكان طبيباً حكيماً مهندساً أديباً ، له طبع في الشعر ، وله تصانيف منها (كيهان سياحت) في الهيأة وكتاب في العروض وكتاب (الدوحة) في الأنساب ، ورسائل في الطب ، وأكثر معالجاته يؤول الى تقليل الطعام ، وتلطيفه ، وربما ينهى المريض عن الدواء الغذائي فضلاً عن الغذاء . ومن فوائده : أم الفضائل النفسانية الحكمة ، وظئرها المزاج المعتدل ، وأبوها الاستعداد الكامل ، وابنها السعادة العظمى . وقال : الرياء أخس الأعمـــال ، والاحتيال أزكى السِّير [4] » .

(١) أي درس وتفقه .

(٢) كذا ورد والصواب « الوسط » جمع الوسطى ، وانظر ما يأتي .

(٣) بغية الوعاة ، ص ٢٢٤ .

(٤) تاريخ الحكماء للبيهقي ، ص ١٥٦ ، طبعة دمشق .

٣ — الحسن بن القاسم السرازي أبو علي

قال ياقوت : « كان لغوياً نحوياً ، لازم مجلس الصاحب ابن عباد وصنف المبسوط في اللغة [1] » .

٤ — الحسن بن علي الباقطائي

قال ياقوت في « باقطايا » من معجم الأدباء : « باقطايا ويقال باقطيا : من قرى بغداد ، على ثلاثة فراسخ من ناحية قُطرُبُّل ، ينسب إليها الحسين بن علي الكاتب الأديب ، ذكرته في معجم الأدباء » .

تتمـــة

والباقطائي هذا من رُواة هلال الصابي قال : « حدث أبو الحسن علي بن هشام قال حدثني أبو عبد الله الحسن (كذا) بن علي الباقطاني (كذا) [2] . » ، ثم قال : « وحدث أبو الحسين علي بن هشام قال سمعت أبا عبد الله الباقطائي يقول ... [3] » . وقد سقطا الصابي في هذا الخبر على نشوار المحاضرة للمحسن التنوخي [4] ، والباقطائي من رُواة التنوخي المذكور [5] .

٤ — العميد أبو عبدالله الحسين بن محمد بن الحسين الفمي الملقب

هكذا ذكره كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد الشيباني المعروف بابن الفوطي ، قال : « هو والد الأستاذ أبي الفضل بن العميد ، وكان العميد يلقب بكله . وذكر أبو إسحاق الصابي أن رسائل العميد لا تقصر في البلاغة عن رسائل ابنه أبي الفضل . قال ياقوت في كتابه : وعندي

(١) البغية « ص ٢٢٦ » .

(٢) كتاب الوزراء « ص ٢٨٨ » طبعة دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة

(٣) المذكور « ص ٣٦٦ » .

(٤) راجع « نشوار المحاضرة ٨ : ٦٨ » .

(٥) النشوار أيضاً « ٨ : ١١ ، ٤٤ » .

أن هذا الحكم من أبي اسحاق فيه حيف شديد على أبي الفضل ، والقاضي لا يحب القاضي .

وتقلد ديوان الرسائل لنوح بن نصر السامانى ولقب بالشيخ المفيد [1] » ، وينقل ابن الفوطي من كتاب ياقوت استدلالنا على أن الترجمة كانت فى نسخة إرشاد الأريب ، يعني معجم الأدباء .

٥ — زيد بن عبدالله بن رفاعة الهاشمي أبو الخير الهاشمي

قال الصلاح الصفدي : « أحد الأدباء العلماء ، كان معاصراً للصاحب بن عباد ، قال ياقوت : كان يعتقد رأي الفلاسفة ، ذكروا [2] عنه أنه قال : متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية حصل الكمال ، أقام بالبصرة زماناً طويلاً وصادف بها جماعة لأصناف العلم منهم أبو سليمان محمد ابن مسعر البُستي ويعرف بالمقدسي وأبو الحسن علي بن هارون الزنجاني وأبو أحمد النهرجوري وغيرهم ، وصحبهم وخدمهم ، وكانت هذه الجماعة قد تآلفت بالعشرة وتصافت بالصداقة ، فوضعوا بينهم مذهباً ، وزعموا أنهم قد قربوا به الطريق الى الفوز برضوان الله ، والمصير الى جنته ، وقالوا : إن الشريعة قد دُنست بالجهالات ، واختلطت بالضلالات ، ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة ، لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية ، والمصلحة الاجتهادية ، وصنفوا خمسين رسالة فى جميع أجزاء الفلسفة علماً وعملها وسمّوها « رسائل إخوان الصفاء » وكتَمُوا أسماءهم وبثوها فى الوارقين ووهبوها للناس وادّعوا أنهم ما فعلوا ذلك إلا ابتغاء وجه الله وطلب رضوانه ، وحملت هذه الرسائل إلى الشيخ أبي سليمان محمد بن بهرام المنطقي السجستاني فنظر فيها أياماً وتبحّر فيها دهراً طويلاً وقال : تعبُوا وما أغنوا ، ونصبوا وما أجدَوا ، وحاموا وما وردُوا ، وغثوا وما أطربوا . ظنّوا ما لم يكن ولا يكون ولا يستطاع ، ظنّوا أنهم [يمكنهم أن] يدسُوا

(١) تلخيص معجم الألقاب « ج ٤ الورقة ١٨٤ من نسخة مكتبة الآثار المصورة » .

(٢) الذاكر الأول هو أبوحيان التوحيدي في « الامتاع والمؤانسة » (٢ : ٣) ونقله من كتابه ابن القفطي في تاريخ الحكماء « ص ٥٨ » من الطبعة المصرية . وهو في الكتابين المذكورين أبسط من هذا وأوسم منه ثم نقله من كتابه أخبار الحكماء ابن العبري في كتابه « تاريخ مختصر الدول — ٣٠٨ طبعة اليسوعيين ببيروت » .

الفلسفة التي هي علم النجوم والأفلاك والمقادير والمجسطي وآثار الطبيعة ، والموسيقى الذي هو معرفة علم النغم والايقاع والنغمات والأوزان ، والمنطق الذي هو اعتبار الأقوال بالاضافات والكميات والكيفيات ، وأن يطبقوا الشريعة بالفلسفة . وقد رام هذا قبلهم قوم كانوا أحد أنياباً ، وأحضر أسباباً ، وأعظم أقداراً ، فلم يتم لهم ما أرادوا ، ولا بلغوا ما أمّلوه ، وحصلوا على لوثات قبيحة ، وعواقب محزنة . الى كلام طويل من هذا الباب ... ومن تصانيف ابن رفاعة كتاب الأمثال . كتاب صناعة الخط [1] » .

[تتمـــة]

وقد حذف الصلاح الصفدي من كلام التوحيدي خصائص زيد بن رفاعة التي تهمّ المترجم ، وسننقلها بعد أن ننقل ما عثرنا عليه من سيرته في كتب أخرى ، قال الخطيب البغدادي :

« زيد بن رفاعة أبو الخير . حدّث ببلاد الجبال وخراسان عن أبي بكر محمد بن الحسن ابن دريد وأبي بكر بن الأنباري كتب الأدب ، وروى أيضاً عن أبيه عن أبي كامل الجحدري وغيره ، وكان كذاباً . حدثنا عنه أبو بكر أحمد بن علي ابن بزداد القاري وذكر لنا أنه سمع منه بالدينور أخبرنا ابن بزداد أخبرنا أبو الخير زيد بن رفاعة الهاشمي حدثني أبي حدثنا أبو كامل الجحدري حدثني أبو الحسن بن فضيل قال قال رجل لعمرو بن عبيد : يا أبا عثمان إني لأرحمك مما يقول الناس فيك . قال : يا ابن أخي أسمعتني أقول فيهم شيئاً ؟ قال : لا قال : فإيّاهم فارحم . وراسله واحد بما يكره فقال لمبلغه : قل إن الموت يجمعنا والقيامة تضمّنا والله يحكم بيننا ، سمعت أبا القاسم هبة الله بن الحسن الطبري ذكر زيد بن رفاعة فقال : رأيته بالري . وأساء القول فيه . سمعت القاضي أبا القاسم التنوخي ذكر زيد بن رفاعة فقال : أعرفه وكان يتولى المهالة لمحمد بن عمر العلوي على بعض النواحي . ولم نعرفه بشيء من العلم ولاسماع الحديث ، وكان يذكر لنا عنه

(١) الوافي بالوفيات ، نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٤ الورقة ١٠٢ ، قال الصفدي بعد ذلك : « قلت : زعم قوم أن الذي وضعها جماعة من علماء الفاطميين بمصر ، كانت توجد رسالة بعد رسالة ملقاة في جامع عمرو بن العاص . والذي أراه أنها فلسفة العوام » .

أنه يذهب مذهب الفلاسفة . قلت له : أكان هاشمياً ؟ فقال : معاذ الله ما عرفناه بذلك قط ، أو كما قال [1] » .

وذكره شمس الدين الذهبي في ميزان الاعتدال ، وابن حجر في لسان الميزان ، جاء في اللسان : « زيد بن رفاعة الهاشمي أبو الخير معروف بوضع الحديث على فلسفة فيه أخذ عن ابن دُريد وابن الأنباري ، قال الخطيب كذاب ، وقال اللالكائي : رأيته بالري . قلت : له أربعون موضوعة سرقها منه ابن ودعان ، وسيأتي في (ابن عبدالله) انتهى ، وقال المزي في جوابه عن حال الأربعين الودعانية : كان من أجهل خلق الله بالحديث وأقلهم حياءاً وأجرأهم على الكذب ، وقد وضع عامتها على أسانيد صحاح مشهورة بين أهل الحديث يعرفها الخاص والعام فكان ذلك أبلغ في هتك ستره وبيان عواره [2] » .

ثم جاء في اللسان : « زيد بن عبد الله بن مسعود الهاشمي أبو القاسم اتهم بوضع أربعين في الآداب ، قاله النباتي . قلت : هو أبوالخير بن رفاعة ، لاصبحه الله بخير . سمع منه تلك الأربعين الباطلة أبو الفتح سُلَيم بن أيوب الرازي بالري بعد الأربعمائة ... وهذا كذاب [3] » .

وقال ابن الجوزي في ترجمة أبي نصر محمد بن علي بن عبيد الله بن ودعان الموصلي القاضي المتوفى سنة ٤٩٤ : « قدم بغداد سنة ٤٧٣ ومعه جزء فيه أربعون حديثاً عن عمه أبي الفتح [بن ودعان] وهي التي وضعها زيد بن رفاعة الهاشمي وجعل لها خطبة فسرقها أبو الفتح بن ودعان ... وحذف خطبتها وركب على كل حديث شيخاً إلى الشيخ الذي روى عنه ابن رفاعة [4] » .

وقال أبو حيان التوحيدي : « كان زيد بن رفاعة ذا ذكاء وذهن وقاد ويقظة واتساع في الفنون من النظم والنثر والكتابة والبراعة في الحساب والحفظ لأيام الناس ومعرفة بالمقالات وتبصُّر في الآراء وتصرُّف في كل فن لكنه لا ينسب لمذهب لجيشانه في كل شيء ، وغليانه في كل

(١) تاريخ بغداد « ٨ : ٤٥٠ ، ٤٥١ » .
(٢) لسان الميزان « ٢ : ٤٠٦ » .
(٣) المذكور « ٢ : ٤٠٨ » .
(٤) المنتظم « ٩ : ١٢٧ » .

باب وكان قد صحب القدسي والنهرجوري والريحاني وغيرهم وهم الذين كانوا وضعوا رسائل إخوان الصفاء [1] ... » .

وروى محب الدين بن النجار بسنده إلى أبي الطيب أو أبي القاسم بن رفاعة الشيرازي المذكور عن الصولي عن المبرد قال قيل لأبي شعيب العالم : ما لأهل المدينة حسان الاصوات ؟ فقال : هم مثل الميدان خلت أخوافها فحسنت أصواتها [2] .

وزيد بن رفاعة هذا ذكر في كامل بن الأثير « ١٠ : ١١٤ » ومعجم الأدباء « ٥ : ٣٨١ » وإنباه الأنباء « ٣ : ١٦٩ » وقد طبع له في حيدر أباد الدكن « تأريخ اصلاح المنطق » لابن السكيت . والتأريخ من الفعل أرّخ وهو من مصطلحات الكتاب .

٦ — زيد مرزكه الموصلي :

ذكره ياقوت في غير موضعه وأشار الى أنه قد ذكره فيه قال في ترجمة علي بن دبيس النحوي الموصلي : « قرأ النحو على ابن وحشي صاحب ابن جني وأخذ عنه زيد مرزكة الموصلي وهو مذكور في بابه [3] » .

تتمة

وقال السيوطي : « زيد الموصلي النحوي يعرف بمرزكه (بفتح الميم وسكون الراء وفتح الزاي وتشديد الكاف) قال الصفدي : كان نحوياً شاعراً أديباً رافضياً وله يرثي الحسين :

فلولا بكاء المزن حزناً لفقده ... لما جادنا بعد الحسين غمامُ

ولو لم يشق الليل جلبابه أسىً ... لما انجاب من بعد الحسين ظلام [4] » .

(١) الامتاع والمؤانسة « ٢ : ٤ » ونقله منه القفطي في تاريخ الحكماء وابن العبري في مختصر الدول وابن حجر في لسان الميزان كما ذكرنا آنفاً .

(٢) التاريخ المجدد لمدينة السلام « جزء الظاهرية بدمشق الورقة ٣٢ » .

(٣) معجم الأدباء « ٥ : ٢٠٧ » .

(٤) بغية الوعاة « ص ٢٥١ » .

وقال الصلاح الصفدي : « زيد مرزكه — بفتح الميم وسكون الراء وفتح الزاي وتشديد الكاف — كذا وجدته مضبوطاً . موصلي من قرية من قراها ، كان نحوياً شاعراً أديباً إلا أنه كان رافضياً دجالاً ، ومن شعره الذي أبان فيه عن سوء مذهبه قوله يستطرد بأبي بكر — رضي الله عنه — :

وإذا لزمت زمامها قلقت ... قلق الخلافة من أبي بكر

وقال يرثي الحسين بن علي — رضي الله عنه — من قصيدة :

فلو لا بكاء المزن حزناً لفقده ... لما جادنا بعد الحسين غمامُ

ولو لم يشق الليل جلبابه أسىً ... لما انجاب من بعد الحسين ظلام [1] »

ولا نشك في أن الصفدي اطلع على ما كتب ياقوت في سيرة الرجل .

٧ — عبد الله بن أحمد بن علي بن هبة الله قوام الدين أبو محمد الهاشمي العباسي

قال ابن الفوطي : قوام الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن علي بن هبة الله ابن المأمون الهاشمي البغدادي القاضي الأديب ، ذكره شهاب الدين ياقوت الحموي في كتاب معجم الأدباء وقال : اجتمعت به ببغداد سنة اثنتي عشرة وستمائة ، وسمع كتاب الجمهرة لابن دريد من أبي المعالي أحمد بن عبد الغني بن حنيفة الباجسري بروايته عن ثابت بن إبراهيم البقال عن ابن دزمة . وله أشعار حسنة فصيحة [2] .

وكان ياقوت قد ذكره في ترجمة أبيه « أحمد بن علي بن المأمون » قال : « سألتُ ولده أبا محمد عبد الله بن أحمد عنه فأعطاني جزءاً بخط والده وقد ضمنه ذكر نفسه وذكر ولده فنقلت منه جميع ما أذكره في هذه الترجمة إلا ما أبيّنه [3] » ثم قال : « واجتمعت بولده قوام الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد وقد أفردت له ترجمة في هذا الكتاب ، فأنشدني لوالده من حفظه :

---

(١) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٤ الورقة ١٠٥ » .

(٢) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ٤٤٨ من نسخة مكتبة الآثار المصورة .

(٣) معجم الأدباء « ٢ : ٨١ من الطبعة الأولى » .

فؤاد المشوق كثير المنا ... ومن كتم الوجد أبدى الضنى
وكم مدنف في الهوى بسمهم ... وكانوا الأماني له والمنى
لقد خلقوه أعنا نوعة ... موله شوق يعاني المنى
ينادي من الشوق في إثرهم ... إذا آده ما به قد منا
بنا جسداً ناحلاً بالعراق ... مقيماً وقلباً بوادي منى
تحرقه زفرات الحنين ... ويندو بعين الشجى دمنا [1] »

[تتمة

وقال جمال الدين محمد بن سعيد الواسطي المعروف بابن الدبيثي : « عبد الله بن أحمد بن علي ابن هبة الله بن المأمون أبو محمد ابن القاضي أبي العباس بن أبي الحسن ، من أولاد الأشراف الأعيان ، والعدول المقبولين عند الحكام ، شهد أبو محمد هذا عند قاضي القضاة أبي الحسن علي بن أحمد بن الدامغاني في ولايته الثانية يوم الأحد ثالث عشر شهر ربيع الأول سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة ، وزكاه العدلان أبو المظفر أحمد بن أحمد بن حمدي وأبو جعفر محمد بن عبد الواحد بن الصباغ . ولما توفي والده في سنة ست وثمانين وخمسمائة ، وكان يتولى قضاء دجيل ، تولى أبو محمد ذلك وعزل عنه وأعيد إليه ، ونيب ببغداد عن أقضى القضاة أحمد بن علي بن البخاري ، وعزل عن القضاء والعدالة أجمع في صفر سنة أربع وستمائة بسبب مكتب قيل عنه زوّرها [2] ، ولم يكن محمود الطريقة في شهادته وقضائه ، سمع من أبي المعالي أحمد بن عبد الغني ابن حنيفة [الياجسري] وأبي القاسم يحيى بن ثابت بن بندار وأبي محمد عبد الله بن أحمد بن

(١) المذكور ٢ : ٥٦ » .

(٢) قال تاج الدين بن الساعي البغدادي في حوادث سنة « ٦٠٥ » : « وفيها أحضر العدل أبو محمد عبد الله بن المأمون قاضي دجيل الى باب النوبي الشريف وكشف رأسه عند الصخرة ودرر (أي ضرب بالدرة) ثم شهر في عموم البلد ونودي عليه (هذا جزاء من يزور) وكان هذا الرجل من بيت كبير معروف بالشرف والعدالة والعلم والقضاء لكنه هدم مجد بيته بقبيح ما نسب اليه واقدامه عليه ، أعاذنا الله من تسويل الشيطان » . « الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير ٩ : ٢٧٠ » .

الخشاب وغيرهم وروى عنهم ، سمع منه قوم من الطائفة . ومولده فيما قرأت بخط أبيه في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة [1] » .

وقال شمس الدين الذهبي في وفيات سنة « ٦٢٠ هـ » : « عبد الله بن أحمد بن علي بن هبة الله الشريف أبو محمد ابن الزوال الهاشمي العباسي البغدادي . ولد سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، وسمع من يحيى بن ثابت وأبي المعالي الباجسراني وأبي محمد بن الخشاب ، وهو من بيت حشمة وتقدم . توفي في ليلة عاشوراء . وقد ناب في القضاء ببغداد ثم عزل عن القضاء والعدالة بسبب تزوير ولم يكن محمود الشهادة [2] » .

٨ — عبد الله بن أحمد بن محمود أبو القاسم الكمي

قال ياقوت في ترجمة أبي زيد أحمد بن سهل البلخي : « هذا آخر ما كتبته من كتاب أبي سهل أحمد بن عبيد الله من أخبار أبي زيد ، وما أرى أن أحداً جاء من خبر أبي زيد بأحسن مما جاء أثابه الله على اهتمامه الجنة ، وسأكتب أخبار أبي القاسم عبد الله بن أحمد الكمي البلخي عنه في موضعه [3] » .

ومما نقله ياقوت « سمعتُ أن الأمير أحمد بن سهل بن هاشم كان ببلخ وعنده أبو القاسم عبد الله ابن أحمد بن محمود الكمي وأبو زيد ليلة من الليالي وفي يد [الأمير عقد لآلىء نفيسة ثمينة ، تتلألأ كأنها ويتوهج نورها ، وكان [العقد] حمل إليه من بعض بلاد الهند حين افتتحت فأفرد الأمير منها عشرة أعداد وناولها أبا القاسم ، وعشرة أعداد أخر وناولها أبا زيد وقال : هذه اللآلىء في غاية النفاسة فأحببت أن أشركما فيها ولا أستبد بها دونكما ، فشكرا له ذلك ثم إن أبا القاسم وضع لآلئه بين يدي أبي زيد وقال: إن أبا زيد من هو مهتم بشأنهن فأردت أن أصرف ما برّني به الأمير إليه لينتظم في عقدهن . فقال الأمير : نعما فعلت : ورمى بالعشرة الباقية إلى أبي

(١) ذيل تاريخ بغداد « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٩٢٢ ، الورقة ٨٨ » .
(٢) تاريخ الاسلام « نسخة دار الكتب المذكورة ، ١٤٨٢ الورقة ٢٦٢ » .
(٣) معجم الأدباء « ١ : ١٥١ » .

زيد وقال : خذها فلست في الفتوة بأقل حظاً ولا أوكس سهماً من أبي القاسم ولا تغبن عنها فانها ابقيت للجرابة (كذا) من الفي، بثلاثين ألف درهم[1] » . وقال: « لما ورد أحمد بن سهل بن هاشم المروزي بلخ واستولى على تخومها راود أبا زيد على أن يستوزره فأبى عليه واختار سلامة الأولى والعقبى فاتخذ أبا القاسم الكعبي وزيراً وأبا زيد كاتباً ، وكان أبو القاسم الوزير ، وأبو زيد من الكتاب ، وعظام محلها عنده وأسبقها برفع طرف عنده مسموقين ، ويأروى كأس من جنابه مسبوحين ومغبوقين ، وكان رزق أبي القاسم في الشهر الف درهم ورقاً ولأبي زيد خمسمائة درهم ورقاً ، وكان أبو القاسم يأمر الخازن بزيادة مائة درهم لأبي زيد من رزقه ونقصان مثة درهم من رزق نفسه فكان يصل الى أبي زيد ستمائة درهم والى أبي القاسم تسعمائة درهم ، وكان يأخذ انفسه مكسرة ، ويأمر لأبي زيد بالوضح الصحاح ، فبقوا على ذلك مدة غير طويلة ، وعاشوا على جملة جميلة ، حتى فتكت بهم يد المنون[2] » . ثم قال : « قرأت في كتاب البصائر لأبي حيان الفارسي [التوحيدي] من ساكني بغداد[3] ... للكعبي كتاب في التفسير يزيد حجمه على كتاب أبي زيد[4] » .

[تتمـــة]

وقال أبو بكر الخطيب : « عبد الله بن أحمد بن محمود أبو القاسم البلخي ، من متكلمي المعتزلة البغداديين ، صنف في الكلام كتباً كثيرة ، وأقام ببغداد مدة طويلة وانتشرت بها كثيرة ، ثم عاد الى بلخ فأقام بها الى حين وفاته . أخبرني القاضي أبو عبد الله الصيمري [حدثنا] أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال : كانت بيننا وبين أبي القاسم البلخي صداقة قديمة وكيدة ، وكان إذا ورد مدينة السلام قصد أبي وكثر عنده (كذا) وإذا رجع إلى بلده

(١) معجم الأدباء « ١ : ١٤٤ » .

(٢) المرجع المذكور « ١ : ١٤٧ » .

(٣) قال قال أبو حامد القاضي لم أر كتاباً في القرآن مثل كتابه لأبي زيد البلخي ... » .

(٤) معجم الأدباء « ١ : ١٤٨ » .

لم تنقطع كتبه عنا ، وتوفي أبو القاسم ببلخ في أول شعبان سنة تسع عشرة وثلاثمائة »[1] .

وقال أبو سعد بن السمعاني في « الكعبي » من الأنساب : « وأبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي البلخي — رأس المعتزلة ورئيسهم ، ذكره أبو العباس المستغفري في تاريخ نسف وقال : دخل نسف في أيام رئاسة أبي عثمان سعيد بن إبراهيم ، ونزل رباط الجوبق (لعله جوبق) وعقد له مجلس الاملاء . روى عنه محمد بن زكريا بن الحسين النسفي ولولا أن ذكره لما كان من حقه أن يذكر في كتابي هذا لتصلبه في الجهم والاعتزال ولأنه كان داعية ضلالة أكره الرواية عنه وعن أمثاله . وذكر المستغفري أن أبا يعلى بن خلف امتنع من زيارته لما دخل عليه الكعبي مسلماً وزائراً ولم يقم له أبو يعلى ولا كلمه ، والفرقة الكعبية ينتمون اليه [الى أبي القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الذي تقدم ذكره] وهم جماعة من المعتزلة ، وكان يزعم أن ليس لله — عز وجل — إرادة وزعمت [الكعبية] أن جميع أفعاله واقعة منه بغير إرادة ولا مشيأة منه لها ، وقد كفرت المعتزلة قبل الكعبية بقولها : إن الشرور واقعة من العباد بخلاف إرادة الله — عز وجل — ومشيأته ، مع قولهم بأن أفعاله التي ليست بإرادة واقعة بمشيأته ، فزاد أبو القاسم الكعبي عليهم في هذا الكفر فزعم أن ليس لله — عز وجل — إرادة ولا مشيأة على الحقيقة » .

وقال ابن حجر في لسان ميزان الاعتدال : « عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي أبو القاسم الكعبي ، من كبار المعتزلة ، وله تصنيف في الطعن على المحدثين يدل على كثرة اطلاعه وتعصبه ... وذكر المصنف في تاريخ الاسلام أنه كان داعية الى الاعتزال ... واشتمل كتابه في المحدثين على النفض من أكابرهم وتتبع مثالبهم سواء أكان ذلك عن صحة أم لا ، وسواء أكان ذلك قادحاً أم غير قادح حتى إنه سرد كتاب الكرابيسي في المدلسين فأفاد أن التدليس بأنواعه عيب عظيم ، وحسبك ممن يذكر ثلبة فيمن بعد كثير الخطأ ، عقد باباً أورد فيه ما رويه مما ليس

(٤) تاريخ بغداد ، ٩ : ٣٨٤ ، .

له معنى يزعمه وباباً فيما يرويه متناقضاً لسوء فهمه .. وقال ابن النديم في الفهرست : اليه تنسب الطائفة البلخية : أخذ الكلام عن أبي الحسين الخياط ... وقيل إنه كان يكتب لبعض القواد فقبض على القائد فأخذ الكعبي فاعتقل حتى خلّصه الوزير علي بن عيسى بن الجراح ... ونقل عن أبي سعيد الاصطخري قال : ما رأيت أجدل من الكعبي ... توفي سنة تسع عشرة وثلاثمائة [1] » .

وله ترجمة في المنتظم « ٦ : ٢٣٨ » والوفيات « ١ : ٢٧٣ » وشذرات الذهب « ٣ : ٢٨١ » وغيرهن .

٩ — عبد الله وقيل عبد الباقي بن محمد بن ناقيا البغدادي :

قال ياقوت في ترجمة أبي الحسن علي بن سليمان البغدادي الأديب : « قرأت بخط أبي سعد قال : ذكر أبو المظفر محمد بن العباس الأبيوردي في كتاب تسلّة المشتاق من تصنيفه قال فيه : وقد صممت العزم على معاودة الحضرة الرضوية بخراسان ... وعلم الأديب أبو الحسن علي ابن سليمان ضرري عزمي فجشم إليّ قدمه ... ومن مليح ما أسمعنيه أنه قال سألنا أبا القاسم عبد العزيز بن أحمد بن ناقيا البغدادي ... قلتُ هكذا قال عبد العزيز وصوابه عبد الله ، ذكرناه في بابه من هذا الكتاب [2] » .

وكان ياقوت نفسه قد قال في ترجمة أحمد بن يوسف بن صبيح الكاتب : « حدث أبو القاسم عبد الله بن محمد بن ناقيا [3] الكاتب في كتاب ملح الملحة [4] ... » .

---

(١) لسان الميزان « ٣ : ٢٠٥ » .

(٢) معجم الأدباء « ٥ : ٢١٨ » من الطبعة الأولى » ...

(٣) في طبعة مرغليوث الأولى « ٢ : ١٦٢ » باقيا ، وقال في الحاشية « في كشف الظنون : ابن ماميا » . والصواب ما ذكرناه وهو الذي ضبطه ابن خلكان في الوفيات « ١ : ٢٨٨ » ثم الصفدي في الوافي بالوفيات .

(٤) معجم الأدباء « ٢ : ١٦٢ » .

(تتمـــة)

وقال ابن الدبيثي في ترجمته :

« عبد الله بن محمد بن الحسن بن ناقيا أبو القاسم الأديب الشاعر ، كان فاضلاً له ترسل حسن وشعر جيد ومقامات وغير ذلك من التصانيف الأدبية . ذكره تاج الاسلام أبو سعد بن السمعاني في تاريخه فيمن اسمه عبد الباقي ، فقال : عبد الباقي بن محمد بن الحسن بن ناقيا أبو القاسم الشاعر ، من أهل الحريم الطاهري [1] ، سهواً منه . هكذا سماه جماعة ممن لقيه وسمع منه وروى عنه من الحفاظ المتقنين ، والاثبات المحققين ، كأبي علي أحمد بن محمد البرداني وأبي الفضل محمد بن ناصر السـلامي وغيرهما . أخبرنا القاضي أبو طالب محمد بن علي بن أحمد الواسطي [السكتاني] قراءة عليه وأنا أسمع قيل له أنشدكم أبو علي أحمد بن محمد بن أحمد البرداني فيما كتبه إليكم بخطه قال أنشدني أبو القاسم عبد الله بن محمد بن الحسين بن ناقيا البندار لنفسه :

أخلاي ما صاحبت في العيش لذةً ... ولا زال عن قلبي حنين التـذكر

ولا طالب لي طعم الرقاد ولا اجتنت ... لحاظي مُذ فارقتكم حسن منظر

ولا عبثت كفي بكأسٍ مُسدامة ... يطوف بها الساقي ولا حسّ مزهر

هكذا سماه أبو علي في روايته عنه لهذه الأبيات وفي غيرها ، وفي ذكر وفاته ، أنبأنا محمد ابن علي الواسطي السكتاني المحتسب قال كتب إلينا أحمد بن محمد الحافظ — يعني أبا علي البرداني — يذكر لنا أن أبا القاسم عبد الله بن محمد بن ناقيا توفي ليلة الأحد رابع محرم سنة خمس وثمانين وأربعمائة ودفن بباب الشام . ومولده في ذي القعدة سنة عشر وأربعمائة ، وله شعر ورسائل [2] » .

وقال الصفدي : « عبد الله بن محمد بن الحسين بن ناقيا بن داود أبو القاسم بن أبي الفتح

(١) في الجواهر المضية في طبقات الحنفية « ١ : ٢٨٣ » من أهل شـارع دار الرقيق . وهو في الحريم الطاهري .

(٢) ذيل تاريخ بغداد « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٩٢٢ « الورقة ٩٨ » .

الحنفي الشاعر المعروف بابن البندار البغدادي ، قال محب الدين الأنماطي [1] ابن النجار : هكذا رأيت اسمه بخط يده ورأيت بخط عبد الوهاب الأنماطي اسمه عبد الباقي — ويأتي ذكره في عبد الباقي [2] » . ثم قال : « عبد الباقي بن محمد بن الحسن بن داود بن ناقيا (بالنون وبعد الألف قاف وياء آخر الحروف) أبو القاسم الخرمي البغدادي الشاعر صنف عدة كتب منها تفسير فصيح ثعلب واختصر الأغاني وغير ذلك وله ملح الملح [3] وأغاني المحدثين وملح الكاتب ، ويذهب الى رأي الأوائل وله مقالة في التعطيل ، توفي سنة خمس وثمانين وأربعمائة ، وكان يعرف بابن البندار ، وله مقامات أدبية إلا أنه كان مطعوناً عليه في دينه وعقيدته وكان كثير الهزل والمجون ، سمع من عبد الرحمن بن عبيد الله الخرمي ومحمد بن علي العشاري وأبي القاسم علي بن المحسن التنوخي وغيرهم وروى عن جماعة من الشعراء كأبي الخطاب الجبلي وأبي القاسم المطرز وغيرهما ، ومن شعره وهو مريض :

تمضي كما مضت القبائل قبلنا ... لسنا بأول من دعاه الداعي

تبقى النجوم دوائراً أفلاكها ... والأرض فيها كل يوم ناعي

وزخارف الدنيا يجوز خداعها ... أبداً على الأبصار والأسماع

... وكان يقول : في السماء نهر من خمر ونهر من لبن ونهر من عسل لا ينقطع منه شيء وينقطع هذا الذي يخرب البيوت ويهدم السقوف ، وكانت بينه وبين ابن الشبل منافرة ، ومباعدة شائعة ظاهرة ، قال أبو الحسن علي بن أحمد الدهان أنشدته يوماً لابن الشبل :

وما أسجد الله الملائك كلهم ... لآدم إلا أن في نسله مثلي

ولو أن إبليساً درى خرّ ساجداً ... لآدم من قبل الملائك من أجلي

(١) كذا جاء ولم يعرف بهذا النسب وإنما سبق الناسخ فأخذه من السطر الثاني .

(٢) الوافي بالوفيات « نسخة الدار المذكورة ٢٠٦٦ الورقة ٨٩ » .

(٣) قدمنا أنه ملح المناحة وكذلك هو في الوفيات .

فيـا رب إبراهيم لم أوت فضله ولا فضل موسى والنبيّ على الرسل
فيلمْ لي وحدي ألف فرعون في الورى ولي ألف نمرود وألف أبي جهل

فلما سمعها قال : أشهد بين يدي الله أنه ما أخرج آدم من الجنة إلا أنه كان في ظهره ، ثم قال : امضِ إليه فأنشده :

فكونك في الظهر من آدم بشؤمك أهبطه إذ عصى
ولو كان آدم ذا خبرة بأنك من نسله لاختصى

وقيل له : ألم تكن قرأت على الشيخ ابن الشبل ؟ قال : بلى ، وإلا من أين اكتسبت هذه البلادة التي فيّ ؟! فبلغ ذلك ابن الشبل فقال :

فقل ما شئت إن الحلم رأيي وشأني الخير إن حاولت شرّا
فأنت أقلُّ أن تلقى بذم بحاضرة وأن تُغتابَ سرا

... وقال أبو الحسن علي بن أحمد بن الدهان : دخلت على ابن ناقيا بعد موته لأغسله فوجدت يده اليسرى مضمومة فاجتهدت حتى فتحتها وفيها كتابة بعضها على بعض فتمهلت حتى قرأتها فاذا فيها مكتوب :

نزلت بجار لا يخيّبُ ضيفه أرجي نجاتي من عذاب جهنم
وإني على خوفي من الله واثق بانعامه والله أكرم منعم[1] ».

وقال ابن الفوطي في ترجمة الأمير أبي الحارث مُهارش بن علي بن المجلي العقيلي : « ومدحه أبو القاسم بن ناقيا بقصيدة غراء منها :

أسفر الحق عن سلال بهيم وقضى السيف دين كل غريم

منها : أصبح الدهر منك في حلل السعـ . . . ـد وعهد الأيام غير ذميم
ظفر الملك بالأمير فما يعـ . . . ـرب إلا عن رأيه المستقيم

(١) المرجع المذكور « الورقة ١٢٠ » .

وأنارت برأيه دولة القا ... ئم بعد الظنون والترجيم
أنت جلّيتهنّ يا ابن الجلّي ... كرّباً آذنت بأمر جسيم [1]

وقال الذهبي في وفيات سنة « ٤٨٥ » ، « عبد الباقي بن محمد بن الحسين بن داود بن ناقيا أبو القاسم الحريمي البغدادي ، شاعر مجود ، صنف عدة كتب منها تفسير فصيح ثعلب ، والأغاني إلا أنه كان معتزلاً ثلابة يطعن على الشريعة ويذهب الى رأي الأوائل وله مقالة في التعطيل ، وكان كثير الجون والهزل سمع أبا القاسم الحرفي . ترجمه السمعاني وقال : روى لنا عنه ابن السمرقندي وعبد الوهاب الأنماطي وأبو الفضل بن ناصر ، وسألتُ عبد الوهاب عنه فقال : ما كان يصلي وكان يقول : في السماء نهر من خمر ونهر من لبن ونهر من عسل لا ينقطع منه شيء بل ينقطع هذا الذي يخرّب البيوت ويهدم السقوف . مات في المحرم وله خمس وسبعون سنة [2] » .

وقد نقل ابن فضل الله العمري في كتابه مسالك الأبصار من كتاب ابن ناقيا في الأغاني قال في ذكر المغنين وأصحاب الموسيقى : ومنهم اسحاق ابن ابراهيم الموصلي ذكره ابن ناقيا في غير موضع من كتابه المسمى بالمحدث في الأغاني [3] ... » .

هذا ما وجدناه في المخطوطات من سيرته وقد أحلنا في الحواشي على مظان سيرته من المطبوعات كالوفيات والجواهر المضيئة ، وله ترجمة في المنتظم « ٩ : ٩٨ » ولسان الميزان « ٣ : ٣٨٤ » والبغية « ص ٢٩٢ » ومما ذكره له ابن خلكان من الكتب « الجمان في تشبيهات القرآن » . وقد طبع مقاماته بعض المستشرقين بأوربة .

١٠ — عبد الله بن محمد أبو محمد الاربجي :

قال ياقوت : « إربج بالجيم : بلدة كثيرة البساتين والخيرات في أقصى بلاد فارس ... وأهل

(١) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ٣٥٨ من نسخة الآثار المصورة » .
(٢) مختصر تاريخ الاسلام « نسخة الأوقاف ببغداد « ٨٩٩ » الورقة ١٣٨ » .
(٣) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٨٧٠ « الورقة ١٢٦ » .

فارس يسمونها إيلك ، منها أبو محمد عبد الله بن محمد الإيلاقي النحوي الأديب صاحب ابن دريد ، روى عن ابن دُريد الكثير [1] » . فوصفُ ياقوت إياه بالنحوي الأديب ينفي أن يكون أهمله في معجم الأدباء .

١١ — عبد الله بن محمد بن السيد أبو محمد البطليوسي

قال ياقوت : « بَطَلْيوس بفتحين وسكون اللام وياء مضمومة وسين مهملة : مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال ماردة على نهر آنة غربي قرطبة ولها عمل واسع يذكر في مواضعه . ينسب إليها خلق كثير منهم أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي النحوي اللغوي صاحب التصانيف والشعر مات في سنة ٥٢١ [2] » .

١٢ — عبد الله بن محمد بن علي بن الحسن عين القضاة أبو المعالي البانجي

نسبة إلى « ميانة » قال ياقوت : « مِيانة بكسر أوله وقد يفتح وبعد الألف نون ، والنسبة اليه ميانجي كالذي قبله وهو بلد بأذربيجان ، معناه بالفارسية « الوسط » وإنما سمي بذلك لأنه متوسط بين مراغة وتبريز ، وأنا رأيتها وهو منها مثل زاوية إحدى المثلثات (كذا) ، وقد نسب اليها القاضي أبو الحسن علي بن الحسن الميانجي قاضي همذان استشهد بها — رح — ووالده أبو بكر محمد ووالده (عين القضاة عبد الله بن محمد) كان له فضل وفقه ، وكان بليغاً شاعراً متكلماً ، تمالأ عليه أعداء له فقتل صبراً ، كما ذكرنا في كتابنا : أخبار الأدباء [3] » .

[تتمـــة]

وقال ابن القفطي : « عين القضـــاة أبو المعالي عبد الله بن محمد بن علي العلامة الميانجي

---

(١) معجم البلدان في (لبع) ونقله منه ابن مكتوم في تذكرته ونقله السيوطي من التذكرة في « بغية الوعاة ص ٢٩٠ » ولم يشر ابن مكتوم الى الأصل .

(٢) معجم البلدان في « بطليوس » . وله ترجمة في الوفيات « ١ : ٢٨٧ » وقلائد العقيان وبغية الوعاة وغيرهن .

(٣) معجم البلدان في « ميانة » .

الصوفي الفقيه الحكيم ، ذكره الامام أبو الحسن البيهقي [1] وقال : هو من تلاميذ صدر المشايخ محمد بن خفيف والامام أبي الفتوح أحمد بن محمد الغزالي ، وكان يضرب به المثل في الذكاء ، وكان من تلاميذ عمر الخياطي وخلط كلام الحكماء بكلام الصوفية ، ومولده سنة تسعين وأربعمائة ، وكان فقيهاً أديباً يميل الى الصوفية ، وصنف في فنون العلوم ، وكان حسن الكلام ، وكان الناس يعتقدون فيه ويتبركون به ، وظهر له القبول التام بين الخاص والعام حتى حسدوه وأطلقوا ألسنتهم فيه ، وقصده أبو القاسم الوزير الدركزيني ، وعقد عليه محضراً وحمله إلى بغداد مقيداً وصلب بهمذان في اليوم السابع من جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين وخمسمائة ، وقبره يزار بها ولما دخلتُ همذان أقمتُ بها [2] ... » .

وفي آخر ترجمته من كتاب البيهقي أقوال له في الحكمة والتصوف ، وقد طبع رسالة الشكوى التي ألّفها في السجن بعض العلماء المسنين وقد ذكرنا ذلك في أول البحث . وله ترجمة في طبقات الشافعية « ٤ : ٢٣٦ » وغيرها .

١٣ — عبد القهر بن محمد بن علي الخوارزمي ثم الزاوطي أبو القاسم الملقب بالكامل

قال ابن الفوطي : « الكامل أبو القاسم عبد القهر بن محمد بن علي الخوارزمي الزاوطي الأديب » ذكره ياقوت الحموي في كتاب معجم الأدباء وقال : أصله خوارزمي ، وهو من أهل زاوطا [3] في بلاد واسط ، ولد بها وقرأ الأدب على أبيه وعلى أبي سعد أحمد بن علي بن الموصلية ، وحدث بواسط سنة خمسمائة ، وقدم بغداد سنة عشر وخمسمائة وروى بها شيئاً من شعره وتصانيفه ، وكان معاصراً لأبي محمد الحريري صاحب المقامات ، وكان عنده قوة في البلاغة فاخترع أن عمل كتاباً

---

(١) في المطبوع من تأريخ البيهقي للحكماء « ص ١٢٦ » أحضر مما ذكره ابن الفوطي .

(٢) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ٢٤٠ » .

(٣) في معجم البلدان « زاوطا بعد الواو المفتوحة طاء مهملة مفصورة ، لفظة نبطية : وهي بليدة قرب الطيب بين واسط وخوزستان والبصرة ... وربما قيل زاوطة » وفيه أيضاً « وقد نسب اليها قوم من الرواة » .

وسماه (الرّحل) وهي ست عشـــرة رحلة وله أشعار غير ما أورده وأودعه في كتاب الرحل [1] » .

(تتمـــة)

وقال ابن الدبيثي : « عبد الله بن محمد بن علي بن محمد أبو القاسم بن أبي عبد الله الأديب ، يعرف بابن الخوارزمي ، من أهل زاوطا ، إحدى بلاد البطائح . قدم والده من خوارزم العراق وسكن هذه الناحية ، وولد ابنه عبد الله هذا بها ، وطلب العلم وقرأ الأدب على أبيه وغيره وسمع منه الحديث ومن سعيد بن البوسلية وغيرهما ، وحدث بواسط في سنة خمسمائة ، وقدم بغداد في سنة عشر وخمسمائة وروى بها شيئاً من شعره وتصانيفه . سمع منه بها أبو عبد الله الحسين بن محمد بن خسرو البلخي البزاز فيما قرأت بخطه ، أنشدني أبو القاسم إقبال بن علي بن أحمد المقرئ قال أنشدني أبو العلاء محمد بن محمد بن النقي العلوي قال أنشدني أبو القاسم عبد الله بن محمد الخوارزمي لنفسه :

رُبَّ ليـــل فريت فروته أحـ ... ـــــوى به وهـو بارد بارد
على صنادٍ سنادُ كلكلها عد ... د الورى مثل ساعد ساعد
ما افتقرت الملي مفتقراً عنـ ... ـي ولا كل واجد واجـد
إن تنكري يا قتيل قتلك لي ... لي على ذاك شاهـد شاهد (كذا)
تغير لوني وابتى شهـدا أ ... ن الذي طلّ عامدي عامد (كذا)
أقسول إذ زارني وودعني ... قل لي متى أنت عائد عائـد (كذا)

عاد أبو القاسم بن الخوارزمي إلى بلده « بعد قدومه بغداد وتوفي بعد ذلك بيســـير والله أعلم [2] » .

وقال العماد الاصفهاني الكاتب : « الكامل أبو القاسم عبد الله بن محمد بن علي الخوارزمي ،

(١) تلخيص معجم الألقاب « ج » الترجمة ٨٨ من الكاف طبعة لاهور » .
(٢) ذيل تاريخ بغداد « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس « ٩٢٢ » الورقة ٩٨ » .

من أهل زاوطا ، كان من أصحاب الحريري ومعاصريه ، وهو ذو الفضل الشائع ، والمنطق الرائع ، وكما للحريري (المقامات) فله (الرَّحَل) : بنى كل رحلته منها على حادثة تمّت ، ونادرة اتفقت له أو لوالده ، وأودعها من غرائب الاستعارات ، وبديع الألفاظ وأبكار المعاني كل ما رق وراق ، وشاق القلوب وفاق ، وله الفصول البديعة التي أنشأها مواعظ فصيحة الألفاظ ، جزلة الكلام ، جزيلة الجدوى ، وله رسائل غريبة ، ومصنفات عجيبة ، وسأورد منها لمّاً ، فمن منظومه ما أنشدنيه أبو نصر بن حامد الزكويّ بالزكيّة [1] للكامل الخوارزمي :

أطاع الهوى فاستبعدته المطامع ... ومالت به له نحو الحبيب النوازع
وكان تمادي البعد أنساه وجده ... فهيج ذكراه الحمام السواجع
نوائح يُبكي شجوُها كل سامع ... لمن وإن لم تجر منها المدامع
كتمتُ الهوى ما استطعت فازداد كثرة ... بقلبي حتى لم تسعه الأضالع
فوا كبدي مالي أحنُّ إلى الصِّبا ... وهيهات ما عهد الصِّبا لي راجع
وإن أكُ قد ناهزتُ سبعين حجة ... فقلبي في طبع الصبابة يافع
يغيّرُ مرُّ الدهر أجسام أهله ... وتبقى على حالاتهن الطبائع

وأهدى إليّ صدقة بن الحجاج مقدم « زاوطا » كتاب (الرَّحَل والفصول) بخط الكامل الخوارزمي ، فطالعتها وانتخبت من خطه ما أوردت منه ، فمن شعره الذي أودعه (الرحل) قوله في الرحلة المكيّة ، يصف كل نوع من الهجيج ويذمّهم ويمدح أهل العراق ، فمن ذلك ذمّ اليمني :

ما شاهدت عيني ولا أبصرت ... في محفل كان ولا موسم
فتىً يمانياً وفي كفّه ... بريق دينار ولا درهم

... ومما مدح به وفد العراق :

(١) قال ياقوت : « زكية بفتح أوله وكسر ثانيه وتشديد ياء النسبة ... قرية جامعة من أعمال البصرة ، بينها وبين واسط ، وقد نسب اليها نفر من أهل العلم عدادهم في البصريين عن الخازمي » .

أكرِمْ بهم وفداً يطيب بنشرهم ... ظهرانَ مكة كلَّها والأبطحُ
ما مثلهم أحلى ندىً وشمائلاً ... غُرّاً وأعطى للجميل وأسمحُ
بهم أباهي كل مَن وافى منىً ... في عصرنا ولهم أود وأنصحُ
لم أعطِ إلا كل قوم حقهم (١) ... ونصيبهم ممن أذم وأمدح (٢)

وله أيضاً في هذه الرحلة معتذراً عذره فيما قال :

لا تلم قائلاً على ما بدا منـ ... ـه وسله يُخبرك فيه بعذرهْ
فلسان الفتى يجمجم في القول ... ل ومحض التحقيق باطن صدره

وفيها قوله : أطوفُ ما أطوفُ ثم آتي ... إلى بيت كبيت العنكبوت
تضاوى فيه أطفال جياع ... يزجّون الشتاء بغير قوت

وفيها له :

وقد يخطيءُ الرأي المجرّب ذو الحجى ... ويدركه الفهم الغبيّ المُغفَّلُ
وقد تسلب الرء الحوادث عقله ... فيسهو من الرأي السديد ويذهل

وقوله : بالسغ بجهدك واحتيالكْ ... فعسى تحصّل رأسَ مالكْ

وقوله :

الحمد لله شكرا ... مبدل العسر يسرا
من بعد طول إياسي ... أغنى وأقنى وأثرى
فلست من بعد هذا ... أخشى بعد الدهر فقراً

وقوله في رحلة أخرى :

عيناء كالريم إذا ما رنت ... بيضاء كالشمس دنت للشروق
وهي كفيض الروح قرباً فإنْ ... حاولتها فهي كبيض الأنوق

(١) الوجه « لم أعط كل قوم إلا حقهم » .
(٢) الوجه « ممن أذم وممن أمدح » .

وقوله: أواسلتي أيام غصني ناضر ... وفوداي سوداوان [1] يا أم مالك
وهاجرتي أن شاب رأسي وأنعمت ... منابت مسود من الرأس حالك
كأن لست ذاك الشخص إذ أنا روضة ... تكنفنا أدم الظباء الحوالك

وقوله: من كل أزهر وجهه ... بدر وحشو ثيابه غرر (كذا)

وله يصف صلاح حاله في أوبة من سفرة:

وعدنا كأن الدهر لم يك مسنا ... ببؤس وما زلنا من الدهر في نُعمى
وصرنا إلى حال من العيش غضة ... وأخصب وادينا وكُشفت الغُمّى
كذا الدهر كرار بخير على الفتى ... وشر فلا حرباً [2] يدوم ولا سلما

وقوله في أخرى:

غُذيتُ بدَرّ الهول في المهد مرضعاً ... وهأنذا في وكره أتدرّجُ
وكوج خروج عند كل ملمة ... إذا لم يكن منها لذي اللُّب مخرجُ
وأقدم إقدام المقر بأنه ... إذ أنزل المقدور لا يتحرّج

وله يصف خصباً بعد جدب:

وأخصبت أرضنا وولّى ... ما كان فيها من الجدوبِ
واعتذر الدهر فيه مما ... جنت علينا يدُ الخطوبِ
من كل خير وكل شر ... أخذت مستوفر النصيبِ
فالحمد لله كم كروب ... فرّجها الله عن قريبِ

وقوله في أخرى:

ولربما أهدى السبيل لنا ... تسبيح يضيء بنوره الأفق
وقوله: لا تغترر بظاهر المقالِ ... وكُن لحسن المقال غير قالي

---

(١) الصواب «أسودان» لأن الفود مذكر.
(٢) حال من الدهر.

فكم عدوّ ظاهر الضلال　　يخفي الضلال منه في الظلال

وقوله : الصبح ما فيه لعين ريبهْ　　قد كُشف الغيب فليس غيبهْ

نقبت في العلم عن النقيبهْ　　حتى أتى بالنكت العجيبهْ

نجيب حق جاء بالنجيبهْ　　وحبه من دينه حبيبه (كذا)

وله من أخرى يصف نظره إلى طمام لا يصل إليه :

إذا ما الضرس ناب الطرف عنه　　فياطول البلاء على المِماءِ

وإن هُوْدام ذاك على اتصال　　لحيّ فالسلام على البقاءِ

وقوله : يجلّي كما يجلي العقاب بلحظه　　إذا ما رأى صيداً أسف وأنشبا

وقوله في مدح بغداد :

وأين كبغداد وأين كأهلها　　لطالب عرف أو لعرف وعرفان ؟

وقوله : قد دفعنا إلى زمان خبيث　　ليس فيه لمقتر من مغيث

فأخو الجهل لست أظفر منه　　في سؤالي إلا بصفع حثيث

وأخو العلم إن سألت بشعري　　أو بعلمي أجاب غير مريث

عارضا شعري المديح بشعر　　وحديثي مناقضاً بحديث

ضاع في ذا الزمان نحوُ الكسائيْ ووعظ البصريْ وشعر البعيث

أيها النفس عاش فيك يد الده . . . ر على ما أراه منه فعيشي

ومن أخرى :

وفي الأحاديث إذا ما جربت　　مكشفة للمرء عن حاله

وقوله : لا تغرنّكَ الظواهر في المر　　ء ولكن فابطنه يُملك عقلَهْ

وإذا ما وردت خلاً جميلاً　　حسناً ظاهراً فأخبره نقله [1] (كذا)

(١) تضمين للمثل المشهور « اخبر تقله » .

ومن أخرى :

وكيف وحاجتي في قرن شمس ... تدلّت للغروب برأي عين ؟
متى ضجّعت في طلب وغابت ... رجعت وفي يدي خفّا حنين

وقوله : ومن فجأ الأمور بغير حزم ... ولا رأي تورّط في المهالك
ومن سلك الفجاج بلا خفير ... دعته إلى متالفها المسالك

وقوله يصف لصوصاً وقفّوا عليه :

كمثل السعالي في فلاة تبادرت ... وحيداً أضلّته فجاج مهاويها
وأذؤب قفر صادفت في قرارة ... من الأرض ليلاً أعزلاً نام راعيها

وقال بعد نثر منه « وأقبلوا عليّ وخزاً وهمزاً ونهزاً » :

كأنني بُسرة يفرّزها ... بالشوك مستعجل يرطّبها
أو مثل أضحيّة تبادرها ... عند المصلّى الرجال تضربها

وقوله : فإن يفعل فأشأم من بسوس ... على نصر وأنحسُ من قدار
وأكفر في الخليقة من سنان ... ومن شمس وأجهلُ من حمار

وقوله :

ومتى جحدتُك نعمة وقعدتُ عن ... حُسنى مكافأة لدى إمكانها
فاعلم بأني لم تلدني حُرّة ... مضربة غذيت بمحض لبانها

ومن أخرى يصف خلاصاً من شدة :

كأننا الطير من الأقفاص ... ناجية من شبك القناص
طيبة الأنفس بالخلاص ... منفضات الريش والقناص (كذا)

وقوله : ترى كل مرهوب الهامة لاثها ... على وجه بدر تحته قلب ضيغم

وقوله في مدح أديب :

ذاك الذي لو عاش قسٌّ إلى ... زمانه ذا وابن سُوحان

وابن دريد وأبو حاتم وسيبويه وابن سعدان
وعامرُ الشعبيُّ وابن العَلا وابن كريز وابن صفوان
قالوا له كلُّهم : إنه سيدنا أو قال : غلماني

وفي رجل انكسرت ساقه وقلّ قبوله :

وكان كمثل البوّ ما بين أرؤم يلوذ بحقويه الشّراة الأكامرُ
فأصبح مثل الأجرب الجلد مفرداً طريداً فما تأوي إليه الأباعر

وقوله : ويجهل قدر السيف والسيف منعمد ويعرف قدراً حين يفري ويقطع
ورب جواد يُزدرى وهو قائم ويسبق فُرّاطَ القطا حين يسرع

وقوله : يصف مخدة ويذمها :

مخدد الخد الذي فوقها فهو عليها وهو فوق التراب

ومن نثره في الرحل ، من أمثاله « أطوع من شامي ، وأسمع من رومي ، وآكل من خوارزمي ، وأحيا من نبطي ، وأحسب من قبطي ، وأجهل من هندي ، وأطغى من صغدي ، وأذكى من عربي ، وأبخل من مغربيّ ، وأحلم من قرشي ، وأعلم من حبشي ، وألأم من زنجي ، وأفتك من زنجي ، وأقبح من يمني ، وأكفر من أرمني ، وأفطن من مدني » .

[ومنه] « أقبلت أفواج الحجاج من الفجاج ، وقدمت وفود الرفاق من الآفاق ، المصري إذا حدّث تحنف ، وإذا سأل ألحف ، وإذا أخذ أجحف ، وإن خاطبك أسهاك ، وإن عاملك دهاك ، لا يزيدك في الدرة على الذرة ، ولا يبذل لك في الجبة أكثر من حبسة ، والمغربي يملأ وعاءه ، ويخلي معاءه ، ويحفظ ذهبه ، ويطيل سغبه ، تروقك من الشأمي قامته ، وتروعك هامته ، وتعجبك عمامته ، وإذا سمته حبة قامت قيامته ، لا يستنكف ذو العقل ، أن يماحك في شرى البقل ، ولا يأنف الشريف أن يستزيد الطاقة على الباقة » .

في صفة فقير « قليل المال ، سيّيء الحال ، أشعث السربال كالغربال ، كثير العيال كالرئال ،

أسعى من دولاب ، وأعرى من اسطرلاب ، وأرذل من شعاب ، وأذل من حمل ، وأقفر من جناب أبي شمال ، وأخيب من حنين ، وأحقر من طنين ، صيته كالفراخ ، على رمض السباخ ، فقلت له : خذ طريقك ، فلن يخالط ريقك » .

[ومنه] « بصُرت بإنسان ، من أهل خراسان ، مديد القامة ، واسع الهامة ، مثل القمامة ، يزف زفيف النعامة ، برأس كالجلمود ، وجبهة كجباه الأسود ، أخرج هيباناً كالطفل المقموط ، والخشف المسموط ، فتركه فانكاه (كذا) وحل عُقَدَه ووكاه ، وأدخل فيه كفاً كرفش الشعير ، أو كخف البعير ، وأخرجها مملوءة من الذهب ، الأحمر كاللهب ، من الحُمر الدوّرة ، والمغربية المقيّرة ، والقاشانية المجمفرة ، والغزية المسطّرة ، والسامورية المنيّرة ، وقال : هذا مقدار حقك ، ومقدور رزقك » .

[ومنه] « أشهر من الطود ، وأندى من الجود ، وأصلب من العود ، وأكرم من البحر إذا زخر ، وأشجع من الليث إذا فتر ، وأجمل من البدر إذا سفر ، شيخ فحم ، أســـود كالفحم » .

ومن أخرى « فلما استمر بنا السير واستدر ، واشتد الوقت حراً واحدرّ ، وخفت الزاود ، وصرّت الجداجد ، وقلّ الناجد ، وشح المساجد ، واستذاك الظاء ، وتوقدت السماء ، وصرع الناس الاعياء ، وليت وللـكبد غلية ، وللمنية ولية ، فتبعت الروايا أنفس مناطفها ، وأنطلب مواكفها ، فاحتكت إحدى الروايا من الطايا ، بغُصن من سَلَم كالجلم ، قد انكسر منقصداً ، وأبقى رأسه محتداً ، فقدّها قد الشفرة ، وفتحها فتح السفرة ، فرويت واكتفيت ، وتزودت واستقيت ، وملأت القربة ، وقضيت الإربة » .

ومن أخرى يصف سفينة « خرج بي أبي وأنا ابن سبع ، كقدح من نبع ، فطلب كريماً يستجديه ، وخرقاً على الدهر يستمديه ، فاحتملنا على ورقاء مجوّفة معطفة ، ســفواء محرّفة ، أضلاعها بادية ، ظواهرها رواء وبواطنها سادية ، لها أرجل ذات حوافر جوافر ، تخنقـات

وسوافر ، برأس كمنقار ، وجلّ من قار ، تزحف على أرض كالزجاج ، أو ثوب ديباج ؛ وطريق رجّاج ، ومدرج مدراج ، ليس لأرجلها آثار ، ولا لخطوها عثار ، ولا لمرها عثار (كذا) ، تمس مس العروس ، على مثل بطن الطروس :

تلاعب نيتسائل البحور وربما رأيت نفوس القوم من جريها تجري

ومن أخرى « نضبت ببلادنا المياه ، وعطلت الأرفاه ، واحتبس القطر ، وذهب من المال الشطر ، وغلت الأسعار ، واشتد الاعسار ، وفشا الاسفار ، فلا زرع يُروى ، ولا ضرع يُمرى ، وحُمدت الأيدي على النوال ، وأدبلت الأوجه المصونة بالسؤال ، تخرج أبي يتتبع ذا كرم يأوي إلى مغانيه ، وذا يسار يعينه ويغنيه ، فقرعنا باب دار على علم منا بأهلها ، وقصدنا لأجلها ، فأقبلت جارية ذات جمال بارع ، وخلق رائع ، ونور ساطع ، تجمّل وجهها يسلب العقول ، ويجرّ القول ، وتدير عينين حشوهما فتور ، وناظرهما مسحور ، بأطراف مخضبة ، وأصداغ معقربة ، وثُدِيّ مفلكة ، وغلائل مفرّكة ، وحلي وقلائد ، وعقود وبجاسد ، ففتحت الباب ، وفتحت الألباب ، وتلقتنا بالانس والتقريب ، والتأهيل والترحيب ، ومالت بنا إلى مجلس مملوء بالسرور ، يرتد البصر عنه ارتداد المحسور ، مفروش بالحرير ، والنمارق والطنافر ، وعمل المرند ، مُبخّر بالند والرند ، فملأ سائر أقتاره ، بذكيّ قتاره ، ثم ناديت : قد جاوزنا العشاء ، فهاتي العشاء ، فأتت متمايدة ، تحمل مائدة ، تخنث منها قوائمها ، وجسمت فيها دعائمها ، عليها سفرة كاستدارة الهلة ، لا محالة ، وأحضر عليها خبز وسيع ، وجدي رضيع ، دهنه يتصبب ، ووده يتحلّب ، كأنه ذهب على فضة ، وأديمة على قضة ، إلى غير ذلك من جواذبة بالدهن مفعمة ، وبالسكر الأبيض معممة ، فلما اكتفينا مالت الى العود وضمّه ، وإصلاح زيره وبمّه ، وغنت :

فيا رب حيّ الزائرين كلاهما وحيّ دليلاً بالفلاة هداهما

فليتهما ضيفاي في كل ليلة من الدهر مكتوب عليّ قراهما

وليتهما لا يبرحان بمنزل ولا وطن إلا وعيني تراهما

فأقمنا عندها في خفض وطيب ، وعيش رطيب ، إلى أن أدال الله من تلك الحال ، وكشف عنا ظلمة الاعمال » .

ومن أخرى « كان أبي أيام تجلده ، وإذ شرّة الشباب من عُدده ، وكاب أخطار ، وابن رحل وأسفار ، عسّافاً للطرق ، مثلافاً للأرق ، لباساً للظلام ، أباءاً للظلام ، وراداً للأمور الجسام ، براءاً للأجسام ، أهدى في بَرّيّة من نجم ، وأمضى إلى ملمة من سهم ، وأمضى على المكاره من وهم ، وهو مع ذلك يلفني في إرواحه ، ويستصحبني في غدوه ورواحه ، ويدرجني في مراقي الاوجال ، ويولجني ملاقي الآجال ، فأنحدر بي يُريد البصرة ، يروم بها على زمانه النصرة ، عند انصرام الشتاء وإدباره ، وإطلاع النخل وإبّاره ، وإضاءة الربيع وأنهاره ، وتفويف الرياض وإزهاره ، ونزول الحمل ذكاء ، وحين غرّد في البقل الكاء » .

ومنها في صفة خنجر « أبرزت له خنجراً طويل النصل ، سريعاً في الفصل ، أجرى من المنية ، وأمضى من القضية ، له حد مرقق ، وطرف مذلّق ، ومتن كالشهاب ، في الالتهاب :

أخضر اللون بين خديه برد من دناح تميس فيه المتون (كذا)

أرقدت فوقه الصواعق ناراً ثم شابت به الزعاف القيون»

ومنها في صفة قارىء « افتتح القراءة بآي من التنزيل ، وأحسن من الترتيل ، بحنجرة حلالية (؟) وطريقة شجية جليّة ، فكادت الدواري أن تتدعدع ، والقلوب أن تتصدع ، بنغمة يخشع لها السامع ، وتسترسل بها الدامع » .

وفي صفة رفيق « قال هل لك في رفيق يسرك بأنسه ، ويواسيك بنفسه ، ويعينك على مباهجك ، ويصل جناحيك في مناهجك ، تأمن غيبه ، وتفقد عيبه ، يُعتبك ولا يَعتبُك ، ويستغرك ولا يذنبك ، يكون عنك في المهم النائب ، ويكفيك اللمّ النائب ، لا تخاف زلته ، ولا تنكر خلته ، ولا تذم خُلته ، ولا تتهم دخلته ، يُطلعك على ما خفي عليك ، ويؤثرك بما في يده ولا يسألك ما في يديك ، لا يُلزمك مؤونة ، ولا يطوي عنك معونة :

يسرك مظلوماً ويعجبك ظالماً وكل الذي حمّلته يتحمـــلُ

فقرّ عيناً ، فما علقت إلا بحسام لا ينبو ، أو شهاب لا يخبو ، أو جواد لا يكبو ، عبداً بغير شراء ، وصيداً بغير عناء ، وقلم متصوراً أن كل بيضاء شحمة ، وكل حمراء لحمة ، ولم يعلم أن التمرة جمرة ، والأكلة نكلة ، وأن اللقمة نقمة » .

ومن أخرى « بينهم شاب حين يقل عارضه ، وأقلم عنه رائضه ، نقي السربال ، في جلده رئبال ، رائق في هيأته وشارته ، يتصرفون بإشارته ، ومنهم شيخ بصير وبين الحي قسير ، بيّن اللهجة ، قوي المنة والمهجـــة ، معدل برانه ، وشدة اجترائه ، ممن شهد .. المجال ، جهير الشقاشق ، مستن المراشق ، لا يعفر وطابه ، ولا ينقطع خطابه ، كالبشق إذا انفجر ، والرعد إذا زمجر ، فلما أحس بنا قعد على حوانيه ، وأقعى إقعاء الأسد دون ما يحميه ، كالواجد بعد الاضلال ، والبارك عند النضال ، وقال : حبالك الله من قادم ومطار ، وسانح أسفت به قوادم مطار ، أهدته لنا المناهج ، وتهللت لدينا منه المباهج ، فأسفرت بطلعته البقاع ، واستشرفت الى غُرته الصقاع ، فمن الرجل أكرم الله وفادته ، وأجزل من الخيرات إفادته ، ومن أي البيداء مشربه ، والى أي اتجاه مذهبه ؟ إنك ترمي بلدتنا ، وتشاهد بلادتنا ، منزلنا في غمض الفجاج ، بين أغتام فجاج ، وزنوج أفواج ، وعلوج أنباط ، وعتراء أشراط ، ذوي فلاحة ، وعاريـــي ملاحة ، لا تجد مُبصراً من عماية ، ولا مُرشداً الى هداية ، همل مسيمون ، وأغفال ضائمون » .

ومن أخرى « قرية ظاهرة الحل ، لئيمة الأهل ، غائرة المناهل ، متوسطة الجاهل ، نسيمها عجاج ، وماؤها أجاج ، ورجالها علوج ، ونساؤها زنوج » .

وفي صفة حرّ « اشتد الهجير واحتدم ، ومنعت الأرض القدم ، وامتسك النسيم ، وكثر منا التخوف منه والترسيم ، والهب تموز ، وقدح النار الامعوز ، وأخذ الأخثم بالكظم ، فنادرنا لحاً على وضم ، فتصعدت الروح ووردت ، وفترت الحواس وبردت ، وأقدمت النفسة

وقدمت ، وآلت الكريهة وألت ، وتقطعت الأنفاس ، ولحق الإياس ، وحضرت هند الأحامس ، وأنت بأم طابق الدعارس » .

ومن أخرى في صفة شاب « صبيح فصيح ، يجمع رونق الصباحة ، إلى رقة الفصاحة ، ويضيف حسن البشر ، إلى طيب النشر » .

في صفة مصري : شاب لطيف الجسم ، صغير الجرم ، له لحية مجرجرة ، وعمة مدرجة ، ورأس هزهاز ، ولسان جراز ، وثياب بيض ، وكُم عريض ، ويد بأختها معقودة ، وعذبة من ورائه مردودة ، وطيلسان تمنكبه ، وسبال شذّبه ، فقلت له : أطاب الله مسموعك ، وأعذب ينبوعك ، فلقد أبديت عن فضل تسجد له الأذهان ، وأدب تستحليه القلوب والآذان ، فلله أنت أيها البقعة ؟ وما الصنعة ؟ فقال : أما البقعة فمصر[1] ، بها عقدت تمائمي ودعائي ، وبها كان مدرجي وانبعاثي ، منبت الأصل ، ومعقد الوصل ، وأما الصنعة فأفانين علوم حويتها ، وصنوف آداب وعيتها ، وفقر فضائل وجبتها ، فإن شئت القرآن فأنا أبو عمرو ، أو الورع فأنا أبو ذر ، أو الفقه فشافعيه ، أو ارتجال الخطب فصعصعيّه ، أو الحديث فابن عباسه ، أو الذكاء فمن إياسه ، أو الوعظ فابن بشاره ، أو الزهد فابن ديناره ، أو الشعر فجميله ، أو الأدب فخليله ، أو البلاغة فابن عبيدها ، أو النجوم فابن رُشيدها ، أو الطب فابن ماسويه ، أو شرح الحكمة فبطليموسُه » .

ومن أخرى « في الانعاد تمازج القلبان ، وتلاصق الطيلسان ، وسقطت مع صحة الألفة مسحة الكلفة » .

ومن أخرى « حفزني الاضطرار ، وأسلمني الاصطبار ، لأمر يجمع غرضين مفترضين ، وعرضين معترضين ، في حال يتمثل الاستحقاق ، مع سرعة اللحاق ، ويتصور الاخفاق في

(١) ناقش المؤلف نفسه وكان قد قال — سامحه الله وغفر له زلله — :

لا خير في مصر ولا أهلها ... لاحرها الزاكي ولا عبدها
معاشر لا يرتضي فعلها ... ولا يرجى الخير من عندها

جنبات الاعتياق ، ووافق المقدور أربعاء لايدور ، فى سفر ، المكروه للسفر ، والقمر عند انقضاء دولة ، قد تركك بين القلب والشّولة ، فقلت : المقرب ، النحس الأقرب ، وبعده القوس المبلد ، والتعقيد مولّد ، فقسّمت وفكّرت ، وقدّمت وأخرت ، ثم مضيت واستخرت ، فوافقني صديق ، وأخ شفيق ، فأنسكر طيّتي ، وأكبر خطيّتي ، وقال :

مالك لا تسلوي على زاجر ... ولا تخاف السفر المطيا
أما سمعت القوم ممّن قضى ... بعلمه فى الحكم أو جرّبا
ونهيه عن سفر الماء إن ... أمسى يحل القمر المقربا
لا سيما في أربعاء أتى ... آخر شهر حان أن يذهبا

فقلت له : لله من أخ أنت ، ما أوثقني بنصحك وإرشادك ، وأعرفني بصدق ودادك !! غير أني أريد رجلاً جالت جوائله ، واستقلت به رواحله ، وتخلّت عنه شواغله ، وفارق واديه ، وأخلى [ناديه] ومتى جنحت الى الاقامة ، وقمت فى الندامة ، فلما أعيتُه مصمّماً ، وتوجهت ميمّماً ، وأصررت على العزيمة متمّماً ، أوصاني وداعاً ، وشيعني دماعاً ، فثنيت إليه الزمام ، وشددت به الالتزام ، ثم استخرت وما تأخرت ، وحثثت وما تلبثت ، وعجلت وما وجلت ، وجددت وما رددت ، واقتحمت وما أقمت ، فلم أزل أفري من الليل إهابه ، وأقطع من النهار سحابة ، حتى تبدلت من ظهر الأورق ، بطن الزورق ، واعتضت من مبثرة السّرج ، مفترش المرج ، ومن حسكة الأخفاف ، سكة الجداف ، فى بطيحة بعيدة [الأطراف ، وسبعة] الجباب ، فسيحة الرحاب ، هاوية الخسيف ، نازحة السيف ، تقطعها فى رفاهة ، بعيدة الافاقة ، كالحر الزناقة ، والنوق المقطورة ، والمهزى المطورة ، أذل من النقد الجربة ، والأمة المغربة ، عزل من السلاح ، أشباح بلا أرواح ، أكل لكل ذي ناب ومخلب ، وحبائس لكل ذي شفرة أو مخلب ، مالنا عن كائد محيد ، ولا معنا لمهانة محيد ، سوى حربة كانت معي وديعة . فلما جزعنا البطائح ، وطلعنا المطارح ، واستعملت الخيزرانة بعد الأمهار ، وأفضينا إلى ضيق من الأنهار ، ولجاه

بغير حزم ولا استظهار ، فما هو إلا أن وصلنا متسمه أو كدنا ، ودنونا من الصمد وما صمدنا ، حتى طلعت علينا ذئاب ثائرة ، وشلوح عائرة ، بأيديهم السيوف المصلتة ، والقروس الصمتة ، والسهام المفوّقة ، والحراب المذلّقة ، مُغراة الأجسام ، مشيقي اللثام ، مخفضي الكلام ، فأدركتني حميّة جهلية ، وأخذتني أبية غفلية ، حمية من غير حام ، ورمية من غير رام ، وأخطأت الراي ، وما التفت وراي ، فأسرعتُ الوثبة ، وصوبت الحربة ، فإذا أنا بذئاب فاغرة ، وكلاب داغرة ، قد أحدقوا بي دون الرفقه ، واستداروا على استدارة الحلقة ، فقمدت قعود المحسوب ، والهدف المنصوب ، فما أقلعوا عني إلا وأنا غربال الاهاب ، معصفر الجلباب ، متصاعد الأنفاس ، فاتر الحواس ، من طعنته تفور ، ودم يمور ، وعظم مكسور ، وجلد مقشور ، وإذا أنا بغلام قصير ، دميم حقير ، لونه سبيج ، وسواده سميج ، كريه النكهة [ذميم البدهة] قد حمل على بسيف كأنه كتف بعير ، وعارضة سرير ، يُريدني بوثبته ، ويومي إلي بضربته ، فقلت له : ويحك أثائر أم غائر ، وطالب هدم أم طالب بسدم ؟ وباغي خلاص أم آخذ بقصاص ؟ وملتمس رحل أم قاصد ذحل ، ومحصل قماش أم مغتنم حُشاش ؟ فانتهره غلام أشقر ، كأنما أخرجته عبقر ، فصرف عني كيده ، وكف أيدَه ، ودفع إمن إبادرته ، وردّه في حافرته ، وصاح اليه أما من مهل يا ابن جهل ، أنعلم على ماذا أقدمت ، وعن ويلك هممت ، ولأي حجاب كرم تهتك ، ولأي دم عزيز تسفك ، وبأي شبيخ قوم تفتك ، تباً لآرائك ، وقبحاً لآدابك ، كأنك تحسد قدارا ، أو تفتك قرارا ، إنك لتريد أن تطفئ نوراً ، وتشب ناراً ، وتقطع آلاءً ، وتصل بلاءً ، وتهدم ملاً ، وتفشي ظلماً ، لقد طغيت جدا ، وجئت شيئاً إدّا ، ثم حسامك ، وقصر إقدامك ، وانظر قدامك ، ثكلتك أمُّك ، وعدمك خالك وعمك ، وشغلك سفهك وغمُّك . ثم عطف علي وقال : بأبي أنت وأمي ، صنائعك ذرائعك ، ومنتك جُنتك ، وجميلك كفيلك ، وإحسانك سنانك ، وطعانك حسامك . إن أياديك تقمع أعاديك ، ومبارّك تدفع مضارك ، ولك عندي منّهنّ كل غراء ، واضحة ، وبيضاء لائحة ، غادية إلي ورائحة ، دونك خذ ما تراك واجدا ، وانصرف بما لك

راشدا ، وليهنئن عليك ما لقيت بها وقيت ، وليصغر ما سلبته من لبسك ، بسلامة نفسك ، واسلُ عن سائل الدماء ، ببقية الدماء ، وعذراً أبا القاسم فاني الآن مستضعف النصير ، قليل النفير . فقلت له : شكرتك الأفواه ، وسُقفت لك المياه ، ودام لميشك الهناء ، فلقد أحسنت ووفيت ، وجزيت وكافيت ، فدعني أبحُ بما ضمت عليه الأضالع ، فان المال ضائع . ثم ولّوا وولينا ، وخلّوتا وتخليت ، وشالت بي النعامة ، لما صحّت السلامة »[1] .

وقد التبست « الرحَل » على القلقشندي فظنّها مقامات ، قال : « وهذه نسخة مقامة أنشأها أبو القاسم الخوارزميّ في لفائه لأديب يعرف بالهيثي وانقطاعه في البحث ، وغلبة الخوارزمي له ، أوردها ابن خلدون في تذكرته وهي :

« وصية لكل لبيب ، متيقظ أريب ، عالم أديب ، يكره مواقف السقطات ، ويتحفظ من مصادف الغلطات ، ويتلطف من مخزيات الفرطات ، أن يدّعي دون مقامه ، ويقتصر من تمامه ، ويغضّ من سهامه ، ويظهر بعض شكيمته ، ويساوم بأبخس قيمته ، ويستر كثيراً من بضاعته ، ويكتم دقيق صناعته ، ولا يبلغ غاية استطاعته ، وأن يعاشر الناس بصدق المناصحة ، وجميل المسامحة وأن لا يحمله الاعجاب بما يحسنه . على الازراء[2] بمن يستقرئه ، والافتراء على من يعترضه ويُلسنُه ، ليكون خُبرُه أكثر من خَبَره ، ونظرته أروع من منظره ، ويكون أقرب من الاعتذار ، وأبعد من الخجلة والانكسار :

فليس الفتى من قال إني أنا الفتى ... ولكنه من قيل : أنت كذلكا

وكم مُدّع ملسكاً بغير شهادة ... له خجلة إن قيل أن لستَ مالكا

ولقد نُصرتُ بالانضاع ، على ذي نباهة وارتفاع ، وذلك أني أصمدتُ في بعض الأعوام ،

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر ، نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٣٣٢٦ الورقة ١٨١ — ١٨٩ .

(٢) في صبح الأعشى وهو مرجعنا ، الازدراء بمن ، والصواب ما ذكرناه .

مع جماعة من العوام ، بين تاجر وزائر ، إلى المزل [1] والحائر ، حتى انتهينا إلى قرية شارعة ، آهلة زارعة ، وما منا إلا من أملّتْهُ السُمَيريّة [2] فاعترضته ، وأسقمته وأمرضتـــه ، وفَتَرتْهُ فقبضته ، وكثر منا الجؤار ، واستولى علينا الدُّوار ، فخرجنا منها خروج المـحبون ، وقد تقوسنا تقوّس الـمُرجون ، فاسترحنا بالصعود ، من طول القعود :

كأننا الطيرُ من الأقفـاصِ ناجيةً من أحبُل القَنّاصِ
طيّبـة الأنفس بالخـلاص متفضّضات الريش والنواصي

فما استتمت الراحة ، ولا استقرت بنا الراحة ، حتى وقف علينا واقف ، وعتف بنا هاتف : أيُّكم الخوارزمي ؟ فقالوا له : ذلك الغلام المنفرد ، والشاب المستند ، فأقبل إليّ ، وسلّم عليّ ، وقال : إن الناظر يستزيرك ، فليعجل اليه مَصيرُك ، فقمتُ معه ، يتقدّمني وأتبعُه ، حتى انتهى بي إلى جِلّة من الرجال ، ذوي بهاء وجلال ، وزينة وجمال ، من أشـراف الأمصار ، وأعيان ذوي الأخطار ، من أهل واسط وبغداد ، والبصرة والسواد :

ترى كل مرهوب المهابة لاثماً على وجه بدر تحته قلب ضيغم

فقام إليّ ذو المعرفة لاكرامه ، وساعده الباقون على قيامه ، وأطال في سؤاله وسـلامه ، وجذبوني إلى صدر المجلس فأبيت ، ولزمتُ ذُنابا واحتبيت ، وأخذوا يستخبرونني عن الحال ، والمعيشة والمال ، وداعية الارتحال ، وعن النية والقصد ، والأهل والولد ، والجيران والبلد :

وما منهم إلا حفيٌّ مُسـائلٌ وواصف أشواق ومُثنٍ بصالح
ومستشفع في أن أقيم لياليـاً أروحُ وأغدو عنده غير بارح

---

(١) كذا ورد في الصبح ، والمزل ماء بين البصرة واليمامة ، ولا صلة له بالحائر والظاهر أن أصله « الغري » أي موضع بالنجف بدلالة أنه سيقول في بعض شعره :

« اذهبوا أنتم فزوروا عليـاً »

(٢) في الصبح « السرية » والصواب « السميرية » نسبة الى رجل اسمه « سمير » بالتصغير استحدث هذا الضرب من السفن .

ثم قال قائلهم : هل لقيت عين الزمان وقلبه ، ومالك الفضل وربّه ، وقليب الأدب وغَرْبَهُ ، إمام العراق ، وشمس الآفاق ؟ فقلت : ومن صاحب هذه الصفة المهولة ، والكناية المجهولة ؟

فقالوا : أو ما سمعت بكامل هيْت ، ذي الصوت والصيت ؟

ذاك الذي لو عاش [قس] إلى * زمانه ذا وابن سُـــوْحان

وابن دُريـــد وأبو حاتم * وسيبويه وابنُ ســـمدان

وعامر الشعبيّ وابن العَلا * وابن كُـريز وابن صفوان

قالوا محابٍ كلهم : إنه * سيدنا ، أو قال : غلماني (كذا)

فقلت لهم : قد قلّدتم المنّة ، وهيجتم الحنّة ، إلى لقاء هذا العالم المذكور ، والسيد المشهور ، وقد كانت الرياح تأتيني بنفحات هذا الطيب ، وهدر هذا الخطيب . فالآن لا أثر بعد عين ، سأصبح [1] لأجله عن سُرى القَيْن ، اغتناماً للفائدة ، والنعم الباردة ، ووجداناً للضالة الشاردة .

أين أمضي وما الذي أنا أبغي * بعـــد إدراكي المنى والطِّـــلابا

فاذا ما وجـــدتُ عندكم العلـ . . . م قريباً فما أريد الثوابـا

اذهبـوا أنتم فزوروا عليـــاً * لأزور الهيـــتيّ والآهابـا

لن أبالي إن قيل [إن] الخوارز * مي أخطا [في] فعله أو أصابـا

فقالت الجماعة : بل أصبت ، ووجدت ما طلبت ، وقديماً كنا ننشر أعلاقك ، ونتمنى اتفاقك ، ونتداول أوصافك ، ونحب مضافك ، ونُكبر لديه ذكرك ، ونعظّم لديه قدرك ، فيتحرك منك ساكنه ، وتتقلقل بك أماكنه ، ونسأل الله — سبحانه — أن يجمع بينك وبينه بمحضرنا ، وتُلامس عينك عينه بمنظرنا ، ويلتفّ غبارك بغُباره ، ويمتزج تبارُك بتياره ، ويختلط مضمارك بغباره ، فيعرف منكما السابق والسُّكَيْت ، والشُّوذانق والكُمَيت ، ويتبين من الذي يحوي القصب ، فانكما كما قال الشاعر :

---

(١) في الصبح « سأصبح » بتشديد الباء . وفيه إشارة الى المثل السائر .

هما رحلتا خطيئة كانا من السُّمر المثقفة الصعاد
تهال الأرض أن بطأ اعليها بمثلها نسالم أو نُعادي

فقال [بعض الجماعة] : لقد تنكبتم الانصاف ، وأخطأتم الاعتراف ، وأبعدتم القياس ، وأوقعتم الالتباس ، أين ابن ثلاثين إلى ابن ثمانين ، وابن اللبون ، من البازل الأمون ؟ والرمح [1] الرازح ، من الجواد القارح ؟ والكودن البروض ، من المجرّب المروض :

وابن اللَّبون إذا ما لُزَّ فى قرنٍ لم يستطع صولة البُزل القناعيس

كم لهيهم بطائح وسباخ ، وساكن صرائف وأكواخ ، بين يديه سوادية أنباط ، وعلوج أشراط ، ورعاع أخلاط ، وسِفَل سُقاط ، فى بلدة إن رأيت سورها ، وعبرت جسورها ، صحت واغربتاه ، وإن رأيت وجهاً غريباً ناديت : وا أبتاه . لا أعرف غير النبطية كلاماً ، ولا ألقى سوى والدي إماماً ، فى معشر ما عرفوا الترحال ، ولا ركبوا السروج والرحال ، ولا فارقوا الجدار والظلال :

أولئك معشر كبنات نعش خوالف لا تفورُ مع النجوم

[فكيف لي] بمصاولة رجل جوّال ، رحّال حلال ، بهيت وُضع ، وبالكوفة أرضع ، وببغداد أثغر ، وبواسط أحفر ، وبالحجاز وتهامة فطامه ، وبمصر والمغرب كان احتلامه ، وبنجد والشام بقل عارضه ، وباليمن وعُمان قويت نواهضه ، وبخراسان بلغ أشدّه ، وببخارى وسمرقند تناهى جدُّه ، وبغزنة والهند شاب واكتهل ، ومن صيحون وجيحون حلّ وترحل ، وبميسان والبصرة عوّد وقرح ، وبالجبال جلِهَ وجلِح ، فهو بعدُ اللازني إمامه بن ، وابن جني غلامه ، والمتنبي من رُوانه ، والمرّي حامل دواته ، والصابي بارى قلمه ، والصاحب رافع علمه ، وابن مُقلة من ناقلي غاشيته ، وابن [2] أبي حفصة بعض حاشية ، وقد قرأ الكتب وتلاها ، وحفظ العلوم ورواها ، ودرس الآداب ووعاها ، ودوّن الدواوين وألّفها ، وأنشأ الحكم

(١) لعل الأصل « والمهر الرازح » .
(٢) فى الأصل « وبن أبي حفصة » وابن أبي حفصة هو مروان الشاعر المعاصر — كان — للرشيد .

وصنفها ، وفصّل المشكلات وشرحها ، وارتجل الخطب ونقحها ، فهو البحر المورود ، والامام المقصود ، والعلم المصمود ، هذا بون ومرتقى شديد (كذا) .

أتلقون بالأعزل الراعـــا وبالأكشف الحاسر الدارعا ؟!

وبالكودن السابق السابحـا وبالمنجل الصارم القاطعـا ؟!

فما استتم كلامه حتى أقبل ، فاذا نحن به قد طلع فهرولا ، وأقبل مستعجلاً ، فرأيت رجلاً أجلح ، أهتم أفلح ، أفطح أردح ، طويلاً عنطنط [1] ، يحكي ذئباً أمعط ، أجم أحيط ، فتلقوه معظمين ، وله مفخمين ، فقصد من المجلس صدره ، وأسند الى المخدة ظهره ، فما استقر به المكان ، حتى قيل له : هذا فلان . فقبض من أنفه ، ونظر إلى بشطر من طرفه ، وقال ببعض فيه : هلموا ما كنتم فيه ، تهساً للشوهاء وجاليها ، والقرعاء وحاليها .

جاء زيد مجرّراً رسنه فعل لا يمنعه سننه (؟)

أحبه قومه على شـــوه إن القرنبى فى عين أمها حسنه [2]

[فقال] : كان لنا شيخ بالأنبار ، كثير الأخبار ، قد بلغ من العمر أملاه ، ومن السن أعلاه ، قرأت عليه جميع الكتاب ، وعلم الأنساب ، ومسائل ابن السرّاج ، وديوان ابن الحجاج [3] ، وكتاب الاصلاح ، ومشروح الايضاح ، وشعر الطرماح ، والمبن للفرهودي ، والجمهرة للأزدي . وأكثر من [ذكر] المصنفات ، المجهولات والمعروفات ، ينفخ فى شقاشقه ، ويزبد فى بقابقه ، ويتعاظم في مخارقه . وجعل القوم يقسمون بيننـــا الألحاظ ، ويحسبون الألفاظ ، وما منهم إلا من اغتاظ لسكوتي وكلامه ، وتأخري وإقدامه . ثم هذى الشيخ إذ وصف له رجل على الغيب ثم رآه ، فاحتقره وازدراه ، وأنشد متمثلاً :

لعمر أبيك تسمعُ بالمعيدي بعيـــد الدار خير أن تراه

(١) كذا ورد للموازنة السجعية ، وكان الأولى ضبط الجملة على « عنطنطا ... أمعطا » كقوله تعالى « سلاسلا وأغلالا » .

(٢) هكذا ورد البيتان .

(٣) في الأصل « ابن المجاج » والمشهور « الحجاج » فلذلك اخترنا ابن الحجاج .

فقال : هذا العبدي هو ضمرةُ بن صخرة بن جابر بن قَطَن بن نهشَل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مُرّة بن أدّ بن طابخة بن الياس بن مُضر بن نزار ابن معد بن عدنان . والعبديُّ تصغير عَبْدي وهو الذي قالت فيه نادبته :

أنعى الكريم النهشلي المصطفى أكرم من خاض وأكرم من خندفا

فقلت : ما بعد هذا القال ، وجه للاحتمال ، وما يجب لي بعد هذه الواقعة ، غير الكافحة ، ولم يبق لي بعد المغالبة ، من مراقبة .

ما علتي وأنا جَحْلٌ نابلُ (١) والقوس فيه (٢) وَتَرٌ عُنابلُ

تَزِلُّ عن صفحته المنابلُ

ما علّتي وأنا [رجل] جَحْلُ والقوس فيه وَتَرٌ عُرُدُّ

مثل ذراع البكر أو أشدُّ

فعطفت عليه عطف الثائر العاسف ، والتفتُّ إليه التفات الطائر الخاطف ، فقلت له : يا أخا هيْت ، قد قلتَ ما شئت ، فأجب الآن إذا دُعيت ، والزم مكانك ، وغُضّ عنانك ، وقصّر لسانك ، إنّ نادبة صخرة خندفته ، لما وصفته ، وما سمتُ في نسبتك إياه لخندف ذكرا ، فأبن عن ذلك عذرا . فقال : إن خندف هي امرأة الياس بن مُضر غلبت على بنيها ، فنسبوا إليها ، كحنظلية ومزينة ، وكلبدوية وعُربنة ، وشلكة وجهينة ، وهُذْبة وأُذينة ، وكشبيب بن البرصاء ، وابن الدّعماء . فقلت له : سألتَ ، فأجبت وأصبت ، فأخبرني عن خندف هل هو اسم موضوع ؟ فوقف عند ذلك حمائره ، وخمدت ناره ، وركد جريانه ، وسكن هذيانه ، وفتر غليانُه ، وظهر حرانُهُ ، وذلّ وانقمع ، وانطوى واجتمع ، فاضطره الحياء ، وألجأه إلى الاستجداء ، إلى أن قال وهو يخفي لفظه ، ويطرق لحظه : أطنّه لقبا . فقلت :

(١) كذا ورد في اللسان في مادة علل ، وفي مادة عنبل « وأنا جحل نائل » . (وهذه حاشية طابع صبح الأعشى) .

(٢) كذا ورد بالتذكير والمشهور تأنيثها .

هو كما ظننت فما معناه وما سببه ؟ وكيف كان موجبُه . فلم يجد بداً من أن يقول : لا أدري . فقال وقد أذقته مُرّ الاماتة ، وأحسّ من القوم بتظاهر الشماتة :

وودّ بجِسدع الأنفِ لو أنّ صحبَه تنادَوا وقالوا في المناخ له : نَهِم

ثم أقبلوا إليّ ، وعكفوا عليّ ، بأوجه متهلّلة ، وألسنة متوسلة ، في شرح الحال ، والقيام بجواب السؤال . فقلت : هذا بديع عجيب ، أنا أسأل وأنا أجيب ، إن إلياس بن مضر تزوج ليلى بنت ثعلبة [1] بن حلوان بن الحاف بن قضاعة بن معدّ (في بعض النسب) ، فولد له منها: عمرو وعامر وعُمير ، فقعدتهم ذات يوم ، فألحى على ليلى باللوم ، فقال : اخرجي في أثرهم ، وأتيني بخبرهم ، فمضت في طلبهم ، وعادت بهم ، فقالت : ما زلت أخندف في اتباعهم ، حتى ظفرت بلقائهم ، فقال لها إلياس : أنت خندف . والخندفة في الاتباع ، تقارب الخطو في إسراع ، وقال عمرو : يا أبتي أنا أدركت الصيد فلويته . فقال له : أنت مدركة ، إذ حويته ، وقال عامر : أنا طبخته وشويته ، فقال : أنت طابخة إذ شويته ، فقال عمير : أنا انقمعت في الخباء ، فقال له : أنت قمعة للاختباء ، فلصقت بها وبهم هذه الألقاب ، وجرت بها إليها الأنساب . فقال حينئذ : هذا علم استفدته ، وفضل استزدته ، وقد قال الحكيم : مذاكرة ذوي الألباب ، غاء في الآداب ، فقلت له متمثلاً :

أقول له والرمحُ يأطر متنَهُ تأمّل خفافاً إنني أنا ذالكا

ثم لم يحتبس إلا قليلاً ، ولم يُمسك طويلاً ، حتى عاد إلى هديره ، وأخذ في تهذيره ، طامعاً بأن يأخذ بالثأر ، ويعود الفيض له في القهار ، فعدل عن العلوم النسبية ، وجال في ميدان العربية ، ولم يحسّ أن باعه فيها أقصر ، وطرفه دون حقائقها أحسر ، فقال : حضرت يوماً حلبة من حلبات العلوم ، وموسماً من مواسم المنثور والمنظوم ، وقد غصّ بكل خطيب مصقع ،

(١) صوابه « بنت حلوان بن عمران » . (حاشية طابع مسح الأعشى) .

وحَكَم مُقنِع [1]، وعالم مصدع ، ومُلِيء من كل عتيق صَهّال ، وفَنديق [2] صوّال ، ومنطيق جوال ، فأخذوا في فنون المعارضات ، وصنوف المناقضات ، وسلكوا في معاني القريض ، كل طويل عريض ، حتى أخذ السائل منهم بالمخنّق ، ببيت [الفرزدق [3]] :

وعضّ زمان يا ابن مروان لم يدَعْ من المال إلا مُسحَتاً أو مُجلَّفُ

فكثر فيه الجدال ، وطال القال ، وما منهم إلا أجاد القياس ، وأصاب القرطاس ، ووقع على الطريق ، وأتى بالتحقيق ، فلما رأيتُهم في غمرتهم ساهون [4] ، وفي ضلالتهم يعمهون ، فنادَيتهم إليّ فسارعوا ، ومنّي فاسمعوا ، فإني أنا ابن بجدتها ، وعالم ما تحت جلدتها ، ثم إني أبديتُ لهم سراره ، وأثقبتُ [5] ناره ، وحللتُ عقدَهُ ، ومخضتُ زَبَدَهُ ، وأطرت لبده ، وبحست حجره ، وأبثثتُهم مُجَرّه ومُجَسّره ، فقالوا : لله أبوك ، فلقد اسبقتنا إلى غاية ، وأكشفتنا لقناية ، وأجلانا لشبهة ، وأضوأنا في بدهة ، وما أعلم [6] اليوم على ظهرها من يقوم بعلم ما فيه ، ويطلع على خافيه . فأدركني الامتعاض ، وأحذني الانتهاض ، فأنشدته :

من ظن أن عقول الناس ناقصة وعقله زائد أزرى به الطمعُ

وقلت له : ادعيت ، فوق ما وعيت ، فأخبرني عن أول هذا البيت ، يا مُجري السكيت ، وكيف تنشده : وعَضّ ، بالفتح أو : وعُضّ ، بالضمّ ، فقال : كلاهما مَرويّ . فقلت : فتعدّيه بالفعل ثم تعود الى الاسم بإذا الاتجاب ، تهيباً للسائل في الجواب ، وأخبرني لم فتحت آخر الماضي ؟ فأسرع من غير التماضي ، وقال : لأنه مبني عليه ، لايضاف سواه إليه . فقلت :

(١) في الأصل « مقنع » بتشديد النون وفتحها وذلك غلط لأن المراد من المسكم « الاقناع » لا أن يكون لابساً قناعاً .

(٢) في الأصل « فنيق » بمعنى الفحل ولا محل له هنا .

(٣) قال الطابع : الزيادة من اللسان ، مادة س ح ت و ج ل ف .

(٤) كذا ولد الأصل « رأيت أنهم ... » .

(٥) في الأصل « أبقيت » وهو تحريف .

(٦) لعل الأصل « وما نعلم » أو (فقال الشيخ) .

هذا جواب تعلمه ، ومن صبيان المكتب لا نعدمه ، وإنما التمس منك الفائدة فيها ، وأطلب كشف خافيها ، فقال : ما جاء عن أمة النحاة ، وسائر الرواة في هذا غير ما شرحته ، ولا زاد على ما أوضحته ، فقلت : دع عنك هذا وأخبرني عن هذا البناء ألعلّة أم لغيرها ؟ فأقبل يتردد ويتزحزح ، ويتشاغب تارة ويتضجع ، فلما أُسدّ عليه من طريقه ، وحصل في مضيقه ، وغصّ بريقه ، قال : لا أعلم . فقالت الجماعة : أعذر إليك من ألقى سلاحه ، وغضّ جماحه ، ومن أدبر بعد إقباله ، عُدل عن قتاله :

والحق أبلجُ لا يُحدُّ سبيله والحق يعرفه ذوو الألباب

والآن فقد فزت قداحُك ، وبانت غُررك وأوضاحك ، وأجدتَ النضال ، وأدركت الخصال ، فأوضح لنا عما سألت ، وأرشدنا إلى ما دللت ، لئلا يقال : هذا بَهْت ، ومُحال بحت ، فقلتُ : حياً وكرامة ، اسمع أنت يا طغامة ، إن الفعل من فاعله ، كالولد من ناجله ، لا يخلو الفعل من علامة الفاعل ، في لفظ كل قائل ، وهي الفتحة من ماضيه وواقعه ، والزوائد في مستقبله ومضارعه ، وبيان ذلك أن الفتحة لا تكون مع التاء والنون [1] ... فثبت الفتحة ، ثم تقول : أخرجتُ وأخرجنا ، فتسقطُ ما ذكرنا ، وعلامتان لمعنى مُحال ، لا يوجبهما الحال ، فإن كانت النون التي مع الألف ضمير المفعول عادت المتحسسة ، فتقول : أخرجنا الأمير ، فهذا بيّن . فصفقت الجماعة وسبحت [2] ، وحسّنت وبجحت [3] ، وجعل الأديب يضطرب اضطراب العصفور ، ويتقلب تقلب الصقور ، متيقناً أنّ أسده صار جُرذاً ، وبازيه عاد صُرداً ، ودُرّه انقلبت خَشْلباً [4] ، وزيتونه تحوّل غَرَباً [5] ، وقناه تغيّر قصباً ، وأن مستقيمه تعوّج ،

(١) بياض في الأصول .

(٢) لعله « وسبحت » أي قالت : سبحان الله أو « وشمخت » وهو الأرجح .

(٣) أي قالت : بخ بخ . وفي الأصل « وبجحت » ولا محل له .

(٤) في الأصل « ودوره انقلبت خشلبا (؟) ولم يعرف طابع الصحيح معنى « الخشلب » وهو الهدف الذي لا در فيه .

(٥) في الأصل « هربا » (بكسر العين) .

وجيده تبهرج ، وصحيحه تدحرج ، وجديده تكرّج ، فقال منشدهم :

ترى الرجل النحيف فتزدريه ... وتحت ثيابه أسد هزبرُ

ويعجبك الطريرُ فتبتليه ... فيخلف ظنك الرجل الطرير

فما عظم الرجال لهم بفخر ... ولكنْ فخرهم كرمٌ وخيرُ

فأخذه الإبلاس ، وضاقت به الأنفاس ، وسكنت منه الحواس ، ورفضه الناس ، وجعل ينكت الأرض ، ويواصل بكفّه العضّ ، ويتشاءم بيومه ، ويعود على نفسه بلومه ، يمسح جبينه ، ويكثر أنينه ، فقمت فقامت معي الجماعة وتركته ، واستهانت به وفركته ، فلما بقيَ وحده ، تمنّى لحده ، وأسبل دمعته ، وودأن الأرض بلعته :

وكان كمثل البَوّ ما بين روّم ... تلوذ بحِقْوَيه الشراة الأكابرُ

فأصبح مثل الأجرب الجلد مُفرداً ... طريداً فما تدنو إليه الأباعرُ

فقام فتبعني ، ووقف وودّعني ، وأطال الاعتذار ، وأظهر التوبة والاستغفار ، وقال : مثلك من ستر الخلل ، وأقال العثرة والزلل ، فقد اغتررتُ من سنك بالحداثة ، ومن أخلاقك بالدماثة . فقلت : كل ذلك مفهوم معلوم ، وأنت فيه معذور لا ملوم ، وما جرى بيننا فهو منسيّ غير مذكور ، ومطوي غير منشور ، ومخفيّ غير مشهور :

[وجدال] أهل العلم ليس بقادح ... ما بين غالبهم إلى المغلوب

ثم سكت فما أعاد ، ونزلتُ وعاد ، وكان ذلك أول عهدي به وآخره ، وباطن لقاء وظاهره ، وكلّ اجتماع وسائره »[1] .

وللكاتب الخوارزمي من دعاء « يا عالم السرّ ، يا قادراً على الضرر والشر ، يا ذا الملك الأعظم ، يا ناشراً رفات الأعظم يا دافع البلاء ، يا مانع الآلاء ، يا كاشف اللأواء ، يا مرسل القطر بموجيب

(١) صبح الأعشى ، ١٤ : ١٢٨ — ١٣٨ .

دعوة المضطر ، أعنيّ واصرف السوء عني ، وأغثني ، وإلى ما فيه رضاك ورضاي أبلغني [1] » .

١٤ — عبد الله بن الحسين محب الدين أبو البقاء العكبري :

ذكره ابن الفوطي قال : « ذكره ياقوت الحموي في كتاب معجم الأدباء ، وقال : كان إمام مسجد ابن حمدي بالريحانيين ، ومتقدم الاقراء به ، وكان ديناً ورعاً صالحاً متقللاً حسن الأخلاق ، قليل الكلام فيما لا يجدي نفعاً ، لم يخرج من رأسه كلمة فيما علمت إلا في علم وما لا بد له منه من مصالح نفسه ، وكان رحمه الله رقيق القلب ، تفرد في عصره بعلم العربية والفرائض ، سمع من ابن الخشاب وحضر مجلس الوزير عون الدين بن هبيرة في القراءة والسماع ، وله تصانيف كثيرة وله شعر [2] . روى لنا عنه جماعة من مشايخنا ، وكان مولده سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة وتوفي في ربيع الأول سنة ست عشرة وستمائة ودفن بباب حرب [3] »

(تتمـــة)

وقال ابن الدبيثي : « عبد الله بن الحسين بن عبد الله أبو البقاء بن أبي عبد الله بن أبي البقاء العكبري الأصل ، البغدادي المولد والدار ، الفقيه الفرضي النحوي ، تفقه على مذهب أبي الله أحمد بن حنبل — رح — على أبي حكيم إبراهيم دينار النهرواني وأخذ النحو عن أبي محمد ابن الخشاب وغيره وسمع الحديث من أبي الفتح محمد بن عبد البـــاقي بن أحمد المعروف بابن البطي ومن أبي زرعة طاهر بن محمد المقدسي وأبي بكر عبد الله بن محمد بن النقور وجماعة آخرين ، وكان جماعة لفنون من العلم والنحو واللغة العربية ، وشرح المقامات الحريرية وشعر أبي الطيب المتنبي وغير ذلك . سمعنا منه ونعم الشيخ كان . قرأت على أبي البقاء عبد الله بن الحسين ابن عبد الله النحوي [وأسنده إلى أبي هريرة] عن رسول الله — ص — قال : « الدين النصيحة »

(١) المرجع المذكور قبل الأخير .

(٢) قطعنا هنا كلام ياقوت ، بسبب جملة « روى لنا عنه جماعة من مشايخنـــا » ذلك لأن ياقوتاً كان يستطيع أن يروي عن العكبري بغير واسطة لتعاصرهما فالقول الأخير لابن الفوطي .

(٣) تلخيص معجم الألقاب « ج » الترجمة ٦١٥ من الميم » .

قال قلنا : لمن يا رسول الله ؟ قال : « لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم . سألت الشيخ أبا البقاء عن مولده فقال : ولدت سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة . وتوفي ليلة الأحد ثامن ربيع الآخر سنة ست عشرة وستمائة ودفن يوم الأحد بباب حرب — رح [1] — » .

وقال الصلاح الصفدي : « عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن الحسين الامام العلامة محب الدين أبو البقاء العكبري البغدادي الأزجي الضرير النحوي الفرضي الحنبلي . صاحب التصانيف ، ولد سنة ثمان وثلاثين [وخمسمائة] وتوفي سنة ست عشرة وستمائة . قرأ على ابن الخشاب وأبي البركات بن نجاح [2] ... وله من المصنفات تفسير القرآن ، إعراب القرآن ، إعراب الشواذ من القرآن ، متشابه القرآن ، عدد آي القرآن ، إعراب الحديث ، [نيل] المرام في نهاية الأحكام ، في المذهب [الحنبلي] ، الكلام على دليل التلازم ، تعليق على الخلاف ، اللمع من الخطل (كذا) في الجدل ، شرح الهداية لأبي الخطاب [محفوظ الكلوذاني] ، الناهض في علم الفرائض ، البلغة ، في الفرائض ، التلخيص في الفرائض ، الاستيعاب في أنواع الحساب ، مقدمة في الحساب ، شرح الفصيح ، الشوب المدلم ، ترتيب كتاب إصلاح المنطق على حروف المعجم ، شرح الحماسة ، شرح المقامات الحريرية ، شرح الخطب النبانية ، المصباح في شرح الايضاح والتكملة ، المتبع في شرح اللمع ، لباب الكتاب ، شرح أبيات كتاب سيبويه ، إعراب الحماسة ، الايضاح عن معاني أبيات الايضاح ، تلخيص أبيات الشعر لأبي علي ، المحصّل في إيضاح المفصل ، نزهة الطرف في إيضاح قانون الصرف ، الترصيف في علم التصريف ، اللباب على البناء والاعراب ، الاشباع في النحو ، شرح شعر المتنبي ، شرح بعض قصائد

(١) ذيل تاريخ بغداد « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢٢ الورقة ٩٠ » .

(٢) الذي حدثناه هيث في ترجمة أبي البقاء المؤلف نفسه في « نكت الهميان في نكت العميان ص ١٧٨ » وله ترجمة في الوفيات « ١ : ٢٧٩ » وكامل ابن الأثير وذيل الروضتين « ص ١١٦ » والنجوم الزاهرة « ٦ : ٢٤٦ » والشذرات « ٥ : ٦٧ » وإنباه الرواة « ٢ : ١١٢ » وذيل طبقات الحنابلة « ٢ : ١٠٩ » وبغية الوعاة « ٢٨١ » .

رؤبة ، مسائل فى الخلاف ، فى النحو ، تلخيص التنبيه لابن جني ، العروض مُملل [كذا لعله مفصل] ، العروض مختصر ، مختصر أصول ابن السراج ، مسائل نحو مفردة ، مسألة قول النبي — ص — (إنما يرحم الله من عباده الرحماء) ، المنتخب من كتاب المحتسب ، لغة الفقه ، ومن شعره يمدح الوزير [نصير الدين ناصر] ابن مهدي [العلوي] :

بك أضحى جيد الزمان مُحلّى ... بعد أن كان من حُسلاه مُخلّى
لا يجاريك فى مُجاراك خلق ... أنت أعلى قدراً وأعلى محلاّ
دُمت تحيي ما قد أُميت من الفضـ ... ـل وتنفي فقراً وتطرد بخلا[1] »

وقال شمس الدين الذهبي فى وفيات سنة « ٦١٦ » : « عبد الله بن الحسين بن أبي البقاء عبد الله بن الحسين الامام العلامة ، محب الدين أبو البقاء العكبري الأصل ، البغدادي الأزجي الضرير النحوي الحنبلي الفرضي ، صاحب التصانيف ولد سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ، وقرأ القراءات على أبي الحسن علي بن عساكر [البطائحي] وقرأ النحو على أبي محمد بن الخشاب وأبي البركات بن مُجاح ، وتفقه على القاضي أبي يعلى الصغير محمد بن أبي حازم بن أبي يعلى [ابن الفراء] وأبي حكيم إبراهيم بن دينار الهروانى ، وبرع فى الفقه والأصول ، وحاز قصب السبق ، فى العربية ، وسمع من أبي الفتح بن البطي وأبي زرعة المقدسي وأبي بكر بن النقور وغيرهم ، ورحلت إليه الطلبة من النواحي وأقرأ الناس المذهب والفرائض والنحو واللغة . قال ابن النجار : قرأت عليه كثيراً من مصنفاته ، وصحبته مدة طويلة ، وكان ثقة متديناً ، حسن الأخلاق ، متواضعاً . ذكر لي أنه أضرّ فى صباه بالجدري . ذكر تصانيفه : صنف تفسير القرآن ، وكتاب إعراب القرآن ، وكتاب إعراب الشواذ ، وكتاب متشابه القرآن ، وكتاب عدد الآي ، وكتاب المرام في المذهب ، وثلاثة مصنفات فى الفرائض ، وكتاب شرح الفصيح وكتاب شرح الحماسة ، وكتاب شرح المقامات ، وكتاب شرح خطب ابن نباتة . ثم ذكر

(١) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٦ الورقة ٣٤ » . وذكر الأبيات الذهبي في تاريخ الاسلام على ما يجيء بيانه وعندوشاه في « تجارب السلف » بالفارسية « ص ٣٣٤ » .

ابن النجار تصانيف كثيرة ، تركتها اختصاراً . روى عنه الديبثي وابن النجار والضياء المقدسي والجمال ابن الصيرفي وآخرون ، وكان — رح — إذا أراد أن يصنف كتاباً أحضرت له عدة مصنفات في ذلك الفن ، وقرئت عليه فاذا حصله في خاطره أملاه فكان بعض الفضلاء يقول : (أبو البقاء تلميذ تلامذته) يعني : هو تبع لهم فيما يلقونه عليه . ومن شعره (وذكر الأبيات الثلاثة المقدم ذكرهن) .

توفي أبو البقاء — رح — في ثامن ربيع الآخر . وقرأت بخط السيف بن المجد : سمعتُ المراتبي يقول سمعت الشيخ أبا البقاء يقول : جاء إلي جماعة من الشافعية وقالوا : انتقل إلى مذهبنا ونعطيك تدريس النحو واللغة بالنظامية فأقسمت وقلت : لو أقتموني وصيرتم علي الذهب حتى أتواري ما رجعت عن مذهبي [1] » .

وقد طبع من تآليف أبي البقاء المكبري « التبيان في إعراب القرآن » ونُسب إليه شرح لديوان المتنبي ، نسبه اليه بعض الأدباء جهلاً أو عمداً وهو لعفيف الدين علي بن عدلان الموصلي الأديب النحوي المتوفي سنة « ٦٦٦ هـ » كما جاء في آخر الشرح ، وكما دلت عليه عدة أدلة أقل ما فيها أنها تنفي نفياً قاطعاً أن يكون ذلك الشرح لمحب الدين المكبري ، وقد أوضحنا ذلك في مجلة المجمع العلمي العربي [2] ، والظاهر لنا أن الذي عزا هذا الشرح الفذ الى المكبري كان قد رأى نسخة غفلاً من اسم المؤلف فأراد أن يرفع قيمتها فنسبها إلى هـــذا العالم الفاضل ، ونستدل على ذلك بوجود نسخة من الشرح غفل أيضاً من اسم المؤلف محفوظة بدار الكتب الوطنية بباريس وأرقامها « ٣١٠٥ » .

١٥ — عبد الرحيم بن علي بن الحسن أبو علي الأسعد القاضي الفاضل الوزير المنشيء ،

قال ابن القوطي : « ذكره الشيخ ياقوت الحموي في كتاب معجم الأدباء وقال : كان أوحد دهره ، وفريد عصره ، عقلاً ونبلاً ، وفصاحة وبياناً ، لم يكن أحد يضاهيه في صناعة

(١) تاريخ الاسلام ، نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٨٢ الورقة ٢٢٦ .

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي ، ج ١ ، ٢ مج ٢٢ .

الانشاء ، وكان محبوباً وقوراً تزه المجلس على شراسة كانت فى خلقه ، وتقلل فى ملبسه ، فانه كان لا يزيد لباسه على النصفية البغدادية ، والدنيا تدبر برأيه ، وصلاح الدين سلطان البلاد لا يرد له أمراً ، وكان يترفع عن التسمية بالوزارة ويعمل عملها سراً . وتوفي فى سابع عشر ربيع الآخر سنة ست وتسعين وخمسمائة ، ومولده بعسقلان فى جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، وذكروا أن الكتب التي خلفها مائة ألف وعشرين (كذا) ألف مجلدة ، وزادَ سيرته [1] فى عدة مجلدات [2] » .

(تتمـة)

وقال الصلاح الصفدي : « عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن الحسين بن أحمد بن الفرج ابن أحمد [3] القاضي محيي الدين بن علي أبو علي بن القاضي الأشرف أبي الحسـين اللخمي البيساني الأصل العسقلاني المولد ، المصري الدار ، صاحب ديوان الانشاء ووزير السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ... ولما عمل العماد الكاتب كتاب (الخريدة) بعثه إليه فى ثمانية أجزاء ، فلما أحضرت لدى الفاضل قال : وأين الآخران ؟ لأنه قال كتاب (خريده) وما أرى إلا ثمانية يعني (خرى ، عشرة) لأنّ (دَه) بالعجمي عشرة [4] » .

وقال ياقوت نفسه في ترجمة « أبي علي الحسن بن محمد بن أبي الشخباء العسقلاني : « وقيل إن القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني من رسائل ابن أبي الشخباء استمد ، وبها اعتـدّ [5] » .

وقال عبد اللطيف بن يوسف البغـدادي فى سيرة نفسه : « ثم إني توجهت إلى زيارة

(١) غير واضحين .

(٢) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : الورقة ٢٦٦ » .

(٣) هذا النسب موافق لما ذكره الذهبي فى تاريخ الاسلام « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٨٢ الورقة ٩١ » .

(٤) الوافي بالوفيات « نسخة الدار المذكورة ٢٠٦٦ الورقة ١٨٠ » .

(٥) معجم الأدباء « ٣ : ١٩٥ » .

القدس ثم إلى صلاح الدين بظاهر عكا ؛ فاجتمعت ببهاء الدين بن شداد قاضي العسكر يومئذ ، وكان قد اتصل به شهرتي بالموصل ، فانبسط إليّ ، وأقبل علي وقال : نجتمع ببهاءالدين الكاتب ، فقمنا إليه وخيمته إلى خيمة بهاء الدين ، فوجدته يكتب كتاباً إلى الديوان العزيز [يعني ديوان الخلافة العباسية] بقلم الثلث من غير مسوّدة وقال : هذا كتاب إلى بلدكم . وذاكرني في مسائل من علم الكلام وقال : قوموا بنا إلى القاضي الفاضل فدخلنا عليه ، فرأيت شيخاً ضئيلاً كله رأس وقلب ، وهو يكتب ويُملي على اثنين ووجهه وشفتاه تلعب ألوان الحركات لقوة حرصه في [1] اخراج الكلام ، وكأنه يكتب بجملة أعضائه ، وسألني القاضي الفاضل عن قوله تعالى (ولو أنّ قرآناً سُيّرت به الجبال) وعن مسائل كثيرة ومع هذا فلا يقطع الكتابة والاملاء . وقال لي : نرجع إلى دمشق وتجرى عليك الجرايات . فقلت أريد مصر . فقال : السلطان مشغول القلب بأخذ الفرنج عكا وقتل المسلمين بها . فقلت : لا بد لي من مصر ، فكتب لي ورقة صغيرة إلى وكيله بها [2] » .

وللقاضي الفاضل ديوان رسائل وديوان شعر ، ولكل منها نسخ محفوظة في دور الكتب .

١٦ — عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب أبو هاشم الجبائي :

قال ياقوت الحموي : « جُبّى بالضمة والتشديد والقصر : بلد أو كورة من عمل خوزستان ... ومن جُبّى هذه أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجُبائي المتكلم المعتزلي صاحب التصانيف مات سنة (٣٠٣) ومولده سنة (٢٣٥) وابنه أبو هاشم عبد السلام كان كأبيه في علم الكلام وفضل عليه بعلم الأدب فانه كان إماماً في العربية ، مات سنة ٣٢١ ببغداد [3] » .

(١) الصواب « على إخراج الكلام » .

(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء « ٢ : ٢٠٥ » طبعة أوغست موللر ، وللقاضي الفاضل ترجمة في الجامع المختصر « ٩ : ٢٨ ، ٦٤ » والوفيات « ١ : ٣٠٨ » ومرآة الزمان « مخ ج ٨ ص ٤٧٢ » وكامل ابن الأثير في حوادث سنة ٥٩٦ والنجوم الزاهرة « ٦ : ١٥٦ » والشذرات « ٤ : ٣٢٤ » . وإلى وفاته إشارة في وذيل الروضتين « ص ١٧ » .

(٣) ولعبد السلام ترجمة في تاريخ الخطيب « ١١ : ٥٦ » ولسان الميزان « ٤ : ١٦ » .

(تتمـة)

وجاء في أصل لسان الميزان « وقال ابن النديم في الفهرست : كان عبد السلام بصيراً بالنحو واللغة ، قرأ على أبيه وغيره » .

١٧ — عبد العزيز بن ابراهيم بن بناء بن حاجب النعمان أبو الحسن :

قال ياقوت في ترجمة ابنه علي بن عبد العزيز : « علي بن عبدالعزيز بن إبراهيم بن بناء (كذا) ابن حاجب النعمان أبو الحسن ، قد ذكرت معنى تسميتهم بحاجب النعمان في ترجمة أبيه ... وكان أبوه يكتب لأبي محمد المهلبي وزير معز الدولة [1] » .

(تتمـة)

قال ابن النديم : « ابن حاجب النعمان أبو الحسين عبد العزيز بن إبراهيم ، وكان أبوه حاجب النعمان أبي عبد الله الكاتب ، وكان أبو الحسين أحد أفراد الزمان في الفضل والنبل ومعرفة الكتابة بالدواوين ، وكان إليه أيام معز الدولة ديوان السواد . ولم يشاهد خزانة للكتب أحسن من خزانته لأنها كانت تحتوي على كل كتاب عين وديوان فرد بخطوط العلماء المنسوبة . وتوفي وله من الكتب كتاب (نشوة النهار في أخبار الجوار) . كتاب الصبوة ، كتاب أشعار الكتاب ، كتاب أخبار النساء ويعرف بكتاب ابن الدكاني ، كتاب الغرر ومجتنى الزهر ، كتاب أنس ذوي الفضل في الولاية والعزل [2] » .

وأسماء الشعراء الكتاب والكتاب الشعراء الذين ذكرهم في كتابه « أشعار الكتاب » هي :

« محمد بن داود ، القاسم بن سليمان ، يحيى بن خالد ، الفضل بن يحيى . علي بن عبيدة . جعفر بن يحيى . الفيض بن أبي صالح . يوسف بن القاسم . أحمد بن يوسف . يعقوب

(١) معجم البلدان « ٥ : ٢٥٩ » ، وفي تاريخ الخطيب كما يأتي « بيان » بدلا من « بناء » .
(٢) الفهرست ، ص ١٩٣ طبعة مصر .

ابن نوح . ابن المقفع . عبد الوهاب . الفضل بن الربيع . يعقوب بن الربيع . الحسن بن سهل . الفضل بن سهل . زنبور بن الفرج . يوسف لقوة . سندي بن صدقة . سهل بن هارون . محمد بن بكر . حمزة بن خزيمة الكاتب . حماد بن نجاح الكاتب . القاسم بن يوسف . أبو عبد الله بن داود . مسلمة بن سلم . صالح بن أبي النجم . محمد بن الحسين بن شعيب . داود بن جهور . أبو الحارث محمد بن عبد الله الحراني . إبراهيم بن العباس الصولي . محمد بن عبد الملك الزيات . الحسن بن وهب . سليمان بن وهب . أبو عثمان سعيد بن حميد الكاتب . سعيد بن وهب . موسى بن عبد الملك . الحسن بن رجاء بن أبي الضحاك . إبراهيم بن إسماعيل بن داود . عمرو بن مسعدة . هاشم بن مسعدة . أحمد بن المدبّر . إبراهيم بن المدبّر . أبو الجهم أحمد بن يوسف . أبو علي البصير . أبو الطيب عبد الرحيم الحراني . أحمد بن أبي سلمة كاتب عباس . أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري . أبو عبد الرحمن المطوي . جنان الكاتب . سليمان بن أبي سهل بن نوبخت . الحسن بن الحسين بن سهل . أحمد بن محمد بن زيدونة الكاتب . أبو الغمر هارون بن محمد كاتب الحسين بن زيد . هريمة بن الخليع . أبو جعفر محمد بن جعفر الكاتب . إبراهيم بن عيسى المدائني . علي بن عبد الكريم . أبو الحسن أحمد بن إبراهيم . بن داود العبرتائي . أبو بكر محمد بن هارون بن مخلد بن أبان . أحمد بن عيسى . أبو صالح عبد الله بن محمد بن يزداد . عبد الله بن النضر الكاتب . عبد الله بن يزيد . القاسم بن يوسف السلمي . أحمد بن خالد الرياشي . غالب بن أحمد الفطن . عمر بن عثمان بن اسفنداد . علي بن الحسن المصري . سهل بن محمد الكاتب . محمد بن أحمد المعروف بمجون الكاتب . عبد الله بن أحمد بن يوسف . عبد الله بن محمد بن عبد الملك . أبو الصقر إسماعيل بن بلبل . أبو الفضل أحمد بن سليمان بن وهب . حمد بن مهران الكاتب . أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن يعقوب بن داود اليعقوبي . عبد الله بن عبد الله بن يعقوب . أحمد بن علي بن خيار الكاتب . منصور بن عبدالله الكاتب . أحمد بن علوية الأصفهاني . أبو الطيب محمد بن عبدالله اليوسفي . أبو الحسن علي بن عبد الغفار الجرجاني . أبو الحسين عبد الوهاب بن عمرو الشلمغاني . أبو علي أحمد بن علي بن

الحسن الاذرائي . ميمون بن ابراهيم الكاتب . عبد الله بن أخت أبي الوزير . محمد بن علي بن أبي حكيمة . محمد بن علي المعروف بديدن . محمد بن الفضل الجوفزاني الكاتب . عيسى بن فرغانشاه الكاتب . أبو علي أحمد بن إسماعيل نطاحة . علي بن محمد بن نصير بن منصور بن بسام . أبو العباس هبة الله بن محمد بن عبد الله الناشيء . أبو بكر أحمد بن محمد الطالقاني . محمد بن غالب باح الأصبهاني . أبو القاسم جعفر بن محمد بن حذار ، كاتب الطولونية . أبو محمد العباس بن الفضل الفارسي . أحمد بن صالح بن شيرزاد الكاتب . محمد بن علي الكاتب باذنجانة . محمد بن أحمد بن علي بن حيان . علي بن محمد بن سير الاذياني . عبد الله بن طالب الكاتب . محمد بن عمر المعروف بابن الخنساء . أبو الحسن علي بن محمد الفياض . أبو علي عبد الرحمن بن عيسى الهمذاني . أحمد بن محمد بن مذوكل من ساكني مصر . أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد الأصبهاني . أبو الحسين أحمد بن يحيى بن أبي البغل . أبو محمد القاسم بن محمد الكرخي . مقاتل بن نصر بن المنتصر الديلي . أبو الحسين أحمد بن خالد الاذرائي . أبو الحسين محمد بن إسحاق بن الحسين الاذرائي . أبو علي عاصم بن محمد بن الكاتب . أبو عبد الله الحسين بن أحمد الاذرائي . أبو عبد الله حكم بن معبد الأصفهاني . أبو علي محمد بن عروس الكاتب . أبو العباس بن ثوابة . أبو الحسين بن ثوابة . القاسم بن عبيد الله بن سليمان . أبو العباس بن الفرات . أبو الحسين علي بن عباس النوبختي . أبو عبد الله أحمد بن عبد الله النوبختي . محمد بن عبيد الله السنوي (كذا) جعفر بن قدامة . أبو عبد الله المفجع البصري . أبو الفضل العباس ابن عبد الجبار . أبو القاسم علي بن محمد النسوي . أبو الطيب محمد بن علي البخاري . أحمد بن عبد الله بن رشيد الكاتب . الحسن بن محمد بن غالب بن أبي عبد الله الاصفهاني . أبو القاسم بن أبي العلاء . حمدون بن حاتم الأنباري . يحيى بن زكريا بن يحيى . أبو علي الحسن بن يوسف . أبو عبد الله أحمد بن كامل . أبو علي محمد بن علي الفياض . أبو غالب مقاتل بن النضر . أبو جعفر محمد بن شعبة الجرجاني . أبو علي محمد بن علي بن مقلة ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن صالح بن يحيى الكاتب . أبو الحسن سعيد بن إبراهيم البرتي النصراني الكاتب . قال ابن

النديم : « هذا آخر ما تضمنه كتاب أبي الحسين بن حاجب النعمان الكاتب من أسماء الكتاب الشعراء الذين اختار من أشعارهم [1] » .

وقال الخطيب البغدادي : « علي بن عبد العزيز بن إبراهيم بن بيان بن داود أبو الحسين المعروف بابن حاجب النعمان ، كان أحد الكتاب الحذاق بصنعة الكتابة وأمور الدواوين ، وله كتب مصنفة في الهزل . ذكر لي هلال بن المحسن الكاتب أنه مات يوم الجمعة لسبع بقين من شهر رمضان سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة » [2] .

وقال الصلاح الصفدي : « عبد العزيز بن إبراهيم بن بيان الرئيس أبو الحسين بن النعمان الكاتب البغدادي ، قال الخطيب : أحد الكتاب الحذاق بأمور الديوان ، له تواليف في الهزل ، توفي سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة . منها كتاب الصوة ، كتاب أشعار الكتاب ، كتاب الفصل في الولاية والعزل ، كتاب الغرر ومجتنى الزهر ، كتاب النساء [3] » .

وقال أبو علي المحسن التنوخي : « ولقد شاهدت مجلساً في شهر رمضان سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة كأنه من مجالس البرامكة ، ما شهدت مثله قط ، قبله ولا بعده ، وذلك أن كاتب الوزير أبي محمد المهلبي على ديوان السواد أبا الحسين عبد العزيز بن إبراهيم المعروف بابن حاجب النعمان سقط من روشن في دار أبي محمد على دجلة فمات في اليوم الثامن من السقطة ، فجزع عليه أبو محمد وجاء من غد إلى أولاده لأنهم كانوا دفنوه عشياً وكنت معه فعزاهم بأعذب لسان ، وأحسن بيان ووعدهم الاحسان وقال : أنا أبوكم وما فقدتم من ماضيكم غير شخصه . قال لابنه الأكبر أبي عبدالله : قد وليتك موضع أبيك ورددت إليك عمله وولّيت أخاك أبا الحسين — وكان هذا صبياً سنه عشر سنين أو نحوها — وأجريت عليه كذا وكذا (رزقاً كبيراً وقد ذهب عني) ، فليلزمه [4] فان سنيهما متقاربة ليتعلم بتعلمه وينشأ بنشوئه فيجب حقه عليه . ثم قال لأبي العلاء

(١) الفهرست ، ص ٢٣٦ — ٢٣٩ .

(٢) تاريخ بغداد ، ١٠ : ٤٥٦ .

(٣) الوافي بالوفيات ، ٢٠٦٦ الورقة ٢١٠ .

(٤) لعله أراد ، فليلزم أخاه أبا عبدالله » .

صاعد بن ثابت خليفته على الوزارة : « اكتب عهداً لأبي عبد الله واستدع كل من كان أبو الحسن — رح — مستأجراً منه شيئاً تخاطبه في تجديد الاجارة للورثة فإنّ أكثر نعمه إنما كانت دخلات وإجارات ومزارعات قد انحلت الآن بموته ، ومن امتنع فرده من مالي وأسأله ولا تقنع إلا بتجديد العقد كيف جرت الحال . ثم قال لأبي المكارم بن ورقاء — وكان صلف[1] الميت — : إن ذيل أبي الحسن طويل ، وقد كنت أعلم أنه يجري على أخواته وأولادهن وأقاربه شيئاً كثيراً في كل شهر ، وهؤلاء الآن يهلكون بموته ولا حصة لهم في إرثه ، فقم إلى ابنة أبي محمد اللاذراني — يعني زوجة المتوفى — فمزّها عني ، واكتب منها بجريدة بأسماء جميع النساء اللواتي كان أبو الحسين يجري عليهن وغيرهن من الرجال ، وضمّنها حاشيته ، وقال لأبي العلاء : إذا جاءك بالجريدة فأطلقها عاجلاً لشهر . وتقدم باطلاقها على الادرار ، فبلغت الجريدة ثلاثمئة آلاف وكسراً في الشهر ، وعملت في المجلس وأطلق مثلها وامتثل جميع ما رسم به أبو محمد . فلم يبق أحد إلا بكى رقة واستحساناً لذلك ... وقلت أنا لأبي محمد ذلك اليوم : لو كان الموت يستطاب في وقت من الأوقات لطاب لكل ذي ذيل طويل في أيام سيدنا الوزير ، فإن هذا الفعل تاريخ الكرم ، وبه يتحقق ما يروى عن الأسلاف من الأجواد والماضين من الكرماء الأفراد . وغير ذلك مما حضر في الحال . ثم نهض أبو محمد — رح — فارتفعت الضجة من النساء والرجال وأهل الدار والشارع بالدعاء له والشكر »[2] .

وقد ذكر القلقشندي كتاب « ذخيرة الكتاب » واستمد منه وقال إنه لابن حاجب النعمان[3] ، والظاهر أنه لابن الترجمان أبي الحسن علي بن عبد العزيز بن حاجب النعمان .

---

(١) صلف الرجل بكسر اللام وتسكين اللام : زوج أخت زوجه .

(٢) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، ١ : ٣٩ — ٤١ ، .

(٣) صبح الأعشى ، ٢ : ٤٨ ، ٤٩ ، ومختصرة ، ص ١٦ ، .

٢٢ — عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر عين الدين أبو الحسين الفارسي المحدث المؤرخ ، قال ابن الفوطي :

« ذكره ياقوت الحموي في كتاب معجم الأدباء ، وأبو النضر القاضي في تاريخ هراة وقال : كان أديباً فاضلاً . قال ياقوت : لم ير بخراسان والعراق أجمع منه للفضائل وهو سبط أبي القاسم القشيري ، وخرّج له الحفاظ الفوائد كالامام أبي الفضل محمد بن أحمد الجارودي . وهو الذي صنف الذيل على تاريخ الحاكم منذ وفاة الحاكم سنة خمس وأربعمائة ، وقرأ الكثير على المشايخ ، وكتب عن الامام أبي الحسن علي بن فضال المجاشعي ، واختلف الى إمام الحرمين الجويني وخرج الى النواحي ونسا ودخل خوارزم والى غزنة ، ومنها إلى لوهور ، وقرأ عليه الناس تصانيف القشيري ، وصنف كتباً منها كتاب (المفهم لصحيح مسلم) وغير ذلك ، وله شعر حسن . منه قوله :

من يبغ مالاً في الورى فأنا إلى ... طلب المعالي رائح غادي

نفسي وإن فقدت أمانيها فقد ... أبت أن[1] تلين لخدمة الأوغاد

مولده سنة إحدى وخمسين وأربعمائة ، وتوفي سنة تسع وعشرين وخمسمائة »[2] .

(تتمة)

وقد نقل ابن الفوطي من تاريخ نيسابور لعبد الغافر الفارسي المذكور كما جاء في ترجمة طاهر ابن عبد الله الطوراباذي رئيس نيسابور ، قال : ذكره[3] الامام عين الدين عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي في تاريخه .

وقال الصلاح الصفدي : « عبد الغافر بن إسماعيل بن أبي الحسين عبد الغافر[4] ، هو

(١) تقرأ وصلية لاقطعية ليستقيم الوزن .

(٢) تلخيص معجم الألقاب « ٤ : ٢٤ » .

(٣) المرجع المذكور « ٤ : ١٨٨ » .

(٤) المذكور هو « عبد الغافر ركن الدين الزوشتاني الفقيه الشافعي » .

حفيد الحافظ المذكور آنفاً ، هو الحافظ أبو الحسين الفارسي ، مصنف السياق لتاريخ نيسابور ، ومعجم الفرائب في غريب الحديث وانفهم : شرح مسلم . كان إماماً محدثاً حافظاً أديباً فصيحاً مفوهاً ، روى عنه ابن عساكر بالاجازة وتوفي سنة تسع وعشرين وخمسمائة . قال ياقوت : نقلت من خطه الذي يفوق أصداغ اللاح قوله ، بل قصائد تفوق سلاف الراح [1] ... » .

١٩ — عبد الغافر الهاروني البرجوردي :

قال الصفدي : « صاحب الخط المليح إلى الغاية على طريقة ابن البواب . كان موجوداً بعد مائة [2] ، قال ياقوت : أنشدت من شعره :

قلبي معنىً عميد بين الهوى والهواء هذا يقود زماني وذا يصد هوائي

يا من يقرب وصلي منه موعده لو لاعوائق من خلفه تباعدهُ

لاتحسبنَّ دموعي البيض غير دمي وإنما نفسي الحامي يصعدهُ [3]

٢٠ — عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد الامام أبو القاسم القشيري النيسابوري الزاهد الصوفي مؤلف (الرسالة) المشهورة في الصوفية والتصوف .

قال الصلاح الصفدي : « شيخ خراسان وأستاذ الجماعة ومقدم الطائفة ... توفي أبو القاسم سادس عشر شهر ربيع الآخر سنة خمس وستين وأربعمائة ، ودفن بالمدرسة بباب الطاق بجنب شيخه الأستاذ أبي علي الدقاق . قال ياقوت ... أخذ طريق التصوف عن الأستاذ أبي علي الدقاق وأخذ هو عن أبي القاسم الفيروزآبادي وأخذ هو عن الشبلي عن الجنيد عن السري عن معروف الكرخي عن داود الطائي عن التابعين ، وله كتاب آداب الصوفية وكتاب بلغة

(١) الوافي بالوفيات « ٢٠٦٦ الورقة ٢٣٨ نسخة دار الكتب الوطنية بباريس » ، ولعبد الغافر ترجمة في الوفيات « ١ : ٣٣١ » وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي « ٤ : ٢٥٥ » ، وغيرهما .

(٢) كذا جاء في النسخة الخطية للوافي بالوفيات والظاهر أن الأصل « بعد أربعمائة » .

(٣) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية المتقدم ذكرها ٢٠٦٦ الورقة ٢٤٦ » .

الفاضل ، وكتاب التحبير في علم التذكير [1] ... » .

(تتمـــة)

وقال سبط ابن الجوزي في وفيات سنة ٤٦٥ : « عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد أبو القاسم القشيري النيسابوري ، وأمّه سُلَيْمة . ولد سنة ست وسبعين وثلاثمائة في ربيع الأول ومات أبوه وهو طفل ، فنشأ وقرأ الأدب والعربية ، وكان يميل الى أبناء الدنيا فدخل على أبي [علي] الدقاق فأعجبه حاله ، فصحبه لجذبه من ذلك ، ونفقه على [أبي] بكر [محمد] بن بكر الطوسي وأخذ علم الكلام عن ابن فورك ، وصنف التفسير الكبير والرسالة ، وكان يحب الصوفية وأهل الدين والطريقة ، عظيماً عند أهل نيسابور يعظ ويتكلم بكلام الصوفية ، وخرج الى الحج وقدم بغداد . وكانت وفاته في رجب وقيل في ربيع الآخر بنيسابور ودفن بالمدرسة إلى جانب شيخه أبي علي الدقاق وصلى عليه أكبر أولاده عبد الله ، ولم يقرب أحد من أولاده وأهله الزاوية [2] التي كان يجلس عليها ويصنف ويتعبد ، احتراماً وتعظيماً له ، وكان قد أهدى له بعض أصحابه فرساً فركبه عشرين سنة لم يركب غيره ، فلما مات أقام الفرس أسبوعاً لا يأكل ولا يشرب حتى مات ، فكان بينه وبين وفاته ستة أيام . ومن شعره :

الدهر ساومني عمري فقلت له ... لا بعت عُمري بالدنيا وما فيها

ثم اشتراه تفاريقاً [3] بلا ثمن ... تبّت يدا سفقة قد خاب شاريها

وكان ثقة حسن الوعظ ، مليح الاشارة يعرف الأصول على مذهب الأشعري والفروع على مذهب الشافعي — رض — ولما قدم بغداد عقد مجلس التذكير فروى عن النبي — ص — (السفر قطعة من العذاب) الحديث ، فقام إليه سائل فقال : لم سماه — ص — قطعة من العذاب ؟ فأجاب بديهاً : لأنه سبب فراق الأحباب . فصاح الناس وماجوا ولم يقدر على إتمام

(١) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٦ الورقة ٢٥٢ » .

(٢) لعل الأصلية « الزلية » .

(٣) يقال « باعه أو اشتراه تفاريق » وهو ضد الاشتراء بالجملة والجمل .

المجلس ، فنزل ... وكان له من الولد عبد الله وعبد الواحد وعبد الرحمن وعبد الرحيم وعبيد الله وعبد المنعم ، وأثنى عليهم ابن السمعاني [1] ... » .

٢١ — عبد اللطيف بن يوسف بن محمد موفق الدين أبو محمد البغدادي الأديب الحكيم :

قال ابن القوطي : « ذكره الفاضل شهاب الدين ياقوت الحموي في كتاب معجم الأدباء وقال : لبس الخرقة من ضياء الدين أبي النجيب [عبد القاهر] السهروردي ، وقرأ على الشيخ الحسن بن علي بن عبيدة الكرخي ، وله تصانيف في الأدب والحديث والطب ، وذكره الفاضل في رسالة كتبها الى الوزير نجم الدين بن المجاور في حق الشيخ موفق الدين عبد اللطيف يقول فيها : أديب ملأ فيه الاسماع (كذا) وفاضل لا بأخبار الآحاد ولكن بتواطؤ الاجماع (وعينه قُراره) وفي لسانه من العبارة مارّه (كذا) وفي قلبه من الذكاء ناره . توفي في المحرم سنة تسع وعشرين وستمائة ، ومولده سنة سبع وخمسين وخمسمائة » [2] .

(تتمـــة)

وقال الصلاح الصفدي : « عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي الوصلي البغدادي الموفق والأديب ، أبو محمد بن أبي العز النحوي ، أخذ عن والده الكثير في صباه عن أبي الفتح بن البطي وأبي زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي ، وأبي القاسم يحيى بن ثابت بن بندار البقال وأبي بكر عبد الله بن النقور وغيرهم ، وتفقه للشافعي وقرأ العربية ، على [كمال الدين] ابن الأنباري ، وصحب الوجيه [المبارك] أبا النجيب الضرير النحوي ، وبرع في النحو وتميّز

(١) مرآة الزمان ، نسخة باريس ١٥٠٦ الورقة ١٤١ ، وله ترجمة في تاريخ بغداد للخطيب ، ١١ : ٨٣ ، ودمية القصر للباخرزي ، ص ١٩٤ ، وأنساب السمعاني في « القشيري » والمنتظم ، ٨ : ٢٨٠ ، والتكامل في وفيات سنة ٤٦٠ والوفيات ، ١ : ٤٢٤ ، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ، ٣ : ٤١٣ ، والنجوم الزاهرة ، ٥ : ٨١ ، والشذرات ، ٣ : ٣١٥ ، وحواشي تكملة إكمال الاكمال ، ص ١٦٤ .

(٢) تلخيص معجم الألقاب ، ج ٥ الترجمة ١٩٨ من الميم .

على أقرانه وقرأ الطب والحكمة ، وصنف فى الأدب وغيره ، وكان يكتب (خطاً) مليحاً وسافر الى الشام ودخل مصر ولقي قبولاً ، وقرأ الناس عليه الأدب والطب ، وروى أكثر مسموعاته وكان غزير الفضل ، كامل العقل ، حسن الاخلاق محباً للعلم وأهله ، ودخل بلاد الروم وأقام بها مدة وكان يطبُّ ملكها وصادف قبولاً . ولما توفي الملك عاد إلى حلب وحدث بها وحج وأقام ببغداد مريضاً بعلة الدَرَب وتوفي سنة تسع وعشرين وستمائة [1] .

وترجمه الصفدي ثانية ظاناً أنه رجل آخر ، قال : « عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي ابن أبي سعد العلامة موفق الدين أبو محمد الموصلي الأصل البغدادي الفقيه الشافعي النحوي اللغوي المتكلم الطبيب الفيلسوف المعروف قديماً بابن اللبّان ، لقيه تاج الدين الكندي بالجدي المطيّن ، لرقة وجهه وتجعده وبيسه . ولد ببغداد فى أحد الربيعين سنة تسع وخمسين وخمسمائة ، وتوفي ببغداد سنة تسع وعشرين وستمائة ، سمعه أبوه من ابن البطي وأبي زرعة المقدسي وشهدة وجماعة وحدث بدمشق والقدس ومصر وحران وبغداد ، وكان أحد الأذكياء المتفلسفين من الآداب والطب وعلم الأوائل ، إلا أن دعاويه كانت أكثر من علومه ، وكان دميم الخلقة نحيفها قليل لحم الوجه . بالغ القفطي فى الحط عليه ، وكان من يشتغل من دمشق إلى حلب (كذا) . ومن كلامه : اللهم أعذنا من جموح الطبيعة وشموس النفس ، وسلّس لنا مناز التوفيق ، وخذ بنا فى سواء الطريق ، يا هادي المُضي ، يا مرشد الضلال ، يا محيي القلوب الميتة بالايمان ، خذ بأيدينا من مهواة الهلكة ، ونجّنا من ردغة الطبيعة ، وطهرنا من درن الدنيا الدنية بالاخلاص لك والتقوى إنك مالك الدنيا والآخرة . سبحان من عمّ بحكمة الوجود ، فاستحق بكل وجه أن يكون المعبود ، تلألأت بأنوار جلالك الآفاق ، وأشرقت شمس معرفتك على النفوس إشراقاً وأي إشراق . ومن تصانيفه : غريب الحديث ، والمجرويه (كذا) والواضحة فى القافية ، ومنها كتاب (رُبَّ) . كتاب الألف واللام ، شرح بانت سعاد ، ذيل الفصيح [2] ، خمس

(١) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٦ الورقة ٢٥٣ » .

(٢) لقد طبع هذا الكتاب مع فصيح ثعلب بمصر » .

مسائل نحوية ، شرح مقدمة ابن بابشاذ ، شرح الخطب النبائية ، شرح سبعين حديثاً ، شرح أربعين حديثاً طبية ، الرد على فخر الدين الرازي في تفسير سورة الاخلاص ، شرح نقد الشعر لقدامة ، قوانين البلاغة ، الانصاف بين ابن بري وابن الخشاب ، في كلامهما على المقامات ، مسألة (أنت طالق في شهر ما بعد قبله رمضان) ، كتاب قبسة المجلان في النحو ، اختصار العمدة لابن رشيق ، مقدمة حساب ، اختصار كتاب النبات ، اختصار كتاب الحيوان لأرسطو ، واختصر كتباً كثيرة في الطب ، كتاب أخبار مصر (الكبير) ، الافادة في أخبار مصر[1] ، تاريخ يتضمن سيرته[2] ، مقالة في الرد على اليهود والنصارى ، مقالة في النفس ، مقالة في المعاش ، مقالة في المقدور ، كتاب في العلم الالهي ، كتاب الجامع الكبير في المنطق والطبيعي والإلهي ، زهاء عشر مجلدات وبقي يصنف فيه مدة . شرح (الراحمون يرحمهم الرحمن) . اختصار الصناعتين ، للعسكري ، اختصار كتاب مادة البقاء للتميمي ، كتاب بلغة الحكيم ، للشيخ تاج الدين الكندي حيث قال الخطيب ابن نباتة في أول خطبة ذكر فيها وفاة النبي — ص — : الحمد لله المنتقم ممن خالفه ، المهلك من آسفه ، المتوحد في قهره ، المتفرد بعز أمره. فقال الشيخ تاج الدين الكندي : العجب ممن يفتتح هذه الخطبة بمثل هذا الكلام لو لا غفلة لحقت الخطيب ، ولائق بها أن يكون افتتاحها : الحمد لله العادل في أقضيته بلا جور في قضائه الممضي حكمه في بريته بلا ريب في مضائه ، المتفرد بالبقاء بلا مشارك له في بقائه ، الراجو رؤوفه فلا راحة لأوليائه دون لقائه . وهذه السجعات في غاية المناسبة لافتتاح خطبة يذكر فيها وفاة رسول الله — ص — . فقال موفق الدين المذكور : الخطيب إنما قال ذلك نظراً إلى قوله تعالى : فاما نذهبنّ بك فانا منهم منتقمون . وهذا الجواب في غاية السّداد والحسن ، ولو أورد على

(١) قد طبع هذا الكتاب غير مرة وبه اشتهر مؤلفه في العالم الغربي بحيث قال أن أهله معهم رجال غربي العلماء .

(٢) نقل منه ابن أبي أصيبعة في عيون الأنباء في طبقات الأطباء (٢ : ٢٠٣) .

الخطيب وهو حيّ ما أجاب بأحسن من هذا الجواب ولا أسدّ [1] » .

وقال أبو عبدالله بن الدبيثي : « عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي بن أبي سعد الوصلي البغدادي المولد أبو محمد ابن أخي سليمان الوصلي ، أديب فاضل له معرفة بالنحو واللغة والعربية وعلم الكلام والطب ، أسمعه والده في صباه من جماعة منهم أبو الفتح محمد بن عبد الباقي المعروف بابن البطي وأبو زرعة طاهر بن محمد المقدسي وأبو القاسم يحيى بن ثابت الوكيل وغيرهم ، وغلب عليه علم الطب والأدب وبرع فيهما . خرج من بغداد إلى الشام وديار مصر وأقام هناك ، وقرأ الناس عليه هناك وسمعوا منه وانتفعوا به . بلغني أن مولده في سنة سبع وخمسين وخمسمائة [2] .

وقال زكي الدين المنذري في وفيات سنة « ٦٢٩ » : وفي الثاني عشر من المحرم توفي الشيخ الأجل العالم أبو محمد عبد اللطيف بن الشيخ الأجل الفقيه أبي العز يوسف بن أبي البركات محمد بن علي بن أبي سعد الوصلي الأصل ، البغدادي المولد الشافعي النحوي اللغوي الحكيم المتعوت بالموفق ، ببغداد ودفن بالوردية [3] . ومولده ببغداد في أحد الربيعين سنة سبع وخمسين وخمسمائة . سمع الكثير بإفادة والده من أبي الفتح محمد بن عبد الباقي بن أحمد بن سلمان وأبي القاسم يحيى بن ثابت بن بندار وأبي زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي وأبي علي الحسن ابن علي بن الحسن المقرئ وأبي الحسين عبد الحق بن عبد الخالق بن أحمد بن يوسف وشهدة الكاتبة بنت أحمد بن الفرج الإبري وجماعة جمة سواهم ، واشتغل بالنحو واللغة وبرع فيهما ، واشتغل بالطب والكلام وغير ذلك وصنف تصانيف مفيدة مختصرة ومطوّلة ، وحدث

---

(١) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٦ الورقة ٢٥٣ » .

(٢) ذيل تاريخ بغداد « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٩٢١ » الورقة ١٦٢ » ، ولم يذكر ابن الدبيثي وفاته لأن آخر نصرة لتاريخه كانت سنة « ٦٢١ هـ » .

(٣) هي من مقابر بغداد الشرقية وتعرف اليوم بمقبرة الشيخ عمر وهو شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد السهروردي .

بغداد ودمشق والبيت المقدّس ومصر وغير ذلك من البلاد . سمعتُ منه بالقاهرة وبالبيت المقدس ، وهو من بيت العلم والحديث . والده أبو العز يوسف كان فاضلاً تفقه على الامام أبي النجيب السهروردي وصحبه وتبع منه ، وسمع أيضاً بنفسه من القاضي أبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري والحافظ أبي القاسم إسماعيل بن أحمد السمرقندي وأبي الحسن علي بن هبة الله بن عبد السلام وأبي منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون وجماعة سواهم . وقد تقدم ذكر عمّيه : أبي الفضل سليمان وأبي الحسن علي [1] » .

وقال تقي الدين بن قاضي شهبة : « عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي العلامة موفق الدين أبو محمد البغدادي ، أصله من الموصل ... ومن كلامه : من لم يذق لذة العلم ولم يكدح لم يفلح ... [2] » .

وقال ابن النجار كما جاء في الاختصار : « عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي الموصلي الأصل ، البغدادي المولد والدار أبو محمد بن أبي العز . أسمعه والده من أبي الفتح محمد بن عبد الباقي بن البطي وأبي زرعة طاهر بن محمد المقدسي ويحيى بن ثابت بن بندار وأبي بكر عبد الله بن محمد بن أحمد بن النقور ، في آخرين ، وتفقه في صباه على مذهب الامام الشافعي ، وقرأ العربية على عبد الرحمن الأنباري ، وصحب شيخنا الوجيه الضرير النحوي مدة حتى برع في النحو وتميّز وقرأ علم الطب حتى أحكمه وصنف مصنفات في الأدب وغيره ، وكان يكتب خطاً مليحاً ، وسافر الى الشام ودخل ديار مصر ورأى هناك قبولاً كثيراً ، وكان غزير الفضل كامل العقل ثم إنه دخل الى بلاد الروم وأقام بها مدة ، وكان يطبّ ملكها وصادف قبولاً عظيماً فلما توفي الملك عاد إلى حلب وحدث بها ثم توجه الى بغداد ، فأقام بها إلى أن توفي ثاني عشر محرم سنة تسع وعشر بن وستمائة ودفن في مقبرة الوردية ، وكان مولده في أحد الربيعين من سنة

(١) التكملة لوفيات النقلة ، نسخة مكتبة البلدية بالاسكندرية ١٩٨٢ د ج ٢ الورقة ٩٩ ب .

(٢) طبقات الشافعية ، نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢١٠٢ الورقة ٦١ ب .

سبع [1] وسبعين [2] » . وقال ابن العماد الحنبلي : « وشرح أحاديث ابن ماجة المتعلقة بالطب وحدث ببلدان كثيرة ، قال الذهبي : كان أحد الأذكياء البارعين في اللغة والآداب والطب وعلم الأوائل لكن كثرة دعاويه أزرت به ؛ ولقد بالغ القفطي في الحط عليه وظلمه وبخسه حقه [3] » .

٢٢ — عبد الواحد بن علي بن برهان أبو القاسم العكبري النحوي :

قال الذهبي في وفيات سنة « ٤٥٦ هـ » : « بقية الشيوخ العالمين بالعربية والكلام والأنساب ، سمع ... قال ياقوت الحموي في تاريخ الأدباء : نقلت من خط عبد الرحيم بن النفيس بن وهبسان قال نقلت من خط أبي بكر محمد بن منصور السمعاني سمعت المبارك بن عبد الجبار الصيرفي ، سمعت أبا القاسم بن برهان يقول : دخلت على الشريف المرتضى في مرضه فاذا قد حوّل (وجهه) إلى الحائط فسمعته يقول ... فقمت وخرجت فما بلغت عتبة الباب حتى سمعت الرعقة عليه [4] » .

(تتمـــة)

وقال الصلاح الصفدي : « عبد الواحد بن علي بن عمر بن إسحاق بن إبراهيم بن برهان (بفتح الباء الموحدة) أبو القاسم الأسدي العكبري النحوي ، صاحب اللغة والعربية والتواريخ وأيام العرب . قرأ على عبد السلام البصري وأبي الحسن السمسمي ، وكان يحضر حلقته فتىً مليح الوجه ، فانقطع عنه فسأل عنه ، فقيل : إن عميد الملك الكندري اعتقل والده ، فانحدر إلى باب الراتب فصادف الكندري ، فحين رآه أقبل عليه مسلّماً ، ووقف الغلام حوله ، فقال له ابن برهان : (فيك الخصام وأنت الخصم والحكم) . ولم يزد على ذلك . فوجم الكندري وسأل

(١) في الهامش « كذا ذكره الشيخ » ، وقد قدمنا أن مولده كان سنة « ٤٠٢ » .

(٢) المستفاد من ذيل تاريخ بغداد « نسخة المجمع المصورة ، الورقة ٥١ » . ولعبد اللطيف البغدادي ترجمة مفصلة في عيون الأنباء « ٢ : ٢٠١ » وترجمة في ذيل مرآة الزمان لليونيني « ١ : ١٨٠ » والنجوم الزاهرة وفوات الوفيات « ٢ : ٧ » وهي منقولة في الأغلب من الوافي بلا إشارة « ٦ : ٢٧٩ » .

(٣) الشذرات « ٥ : ١٣٢ » .

(٤) تاريخ الاسلام « نسخة التحفة » البريطانية « الورقة ٥٦ » .

ممن فى حبسه ، فأخبر بالرجل وأن ابنه ينشى الشيخ للاقتباس ، فأطلقه ووهبه ما عليه وكان ثمانية عشر ألف دينار . ومن شعر ابن برهان :

أحبتنـــا بأبي أنتم وسقيا لكم أينما كنتم
أطلتم بعـادي بميعادكم وقلتم نزور فما زرتمُ
فانْ لم تجودُوا على عبدكم فان المُعَزّى به أنتُم[1]

وقال سبط ابن الجوزى فى وفيات سنة « ٤٥٦ » : « عبد الواحد بن علي بن برهان أبو القاسم النحوي ، كان عالماً فاضلاً بعلوم شتىّ منها علم العربية والنحو ، ولولا شراسة أخلاقـه له آثار باقية وكتب مروية ، ولم يلبس سراويلاً قط ولا (كان) يغطي رأسه ، ولم يقبل لأحد عطاءاً ، وهو القائل : من قال إن (من) للتبعيض فقـد جاء أهل اللغـة بما لا يعرفونه . وتوفي ببغداد جمادي الأولى وقد أناف على الثمانين ، وقد طعن فيه ابن عقيل ، وقال محمد بن عبد الملك الهمذاني : إنه كان يميل الى المرد الصباح ويقبلهم من غير ريبة[2] » .

وقال محب الدين بن النجار : « قرأت في كتاب الفنون لأبي الوفاء علي بن عقيـل الفقيه الحنبلي بخطه قال : قدم علينا أبو المعالي الجويني أول ما دخـل الغز فتكلم مع أبي إسحاق الشيرازي وأبي نصر بن الصباغ وسمعت كلامه وقال ... كان الشيخ أبو القاسم الأسـدي المعروف بابن برهان العكبري النحوي (وكان متفنناً فى العلوم علامـة فى النحو والنسب وعلوم القرآن والأصول) عند عميد الملك ، وقد كان فاتشه الشيخ أبو المعالي الجويني وكان قـدم علينا سنة تسع وأربعين (وأربعمائة) شاباً أشقر اللحية ، فجرى منه مقاولة للشيخ الامام أبي القاسم فى العباد هل لهم أفعال ؟ فقال : إن وجدت فى القرآن آية تقتضي ذلك فالحجة لك ، فقال الشيخ

(١) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٦ الورقة ٢٨٢ » ، وله ترجمة في تاريخ الخطيب « ١١ : ١٧ » والمنتظم « ٨ : ٢٣٦ » . ونزهة الألبـاء « ص ٢٣٣ » والجواهر المضيئة « ج ١ ص ٣٣٣ » ، وفوات الوفيات « ١ : ١٩ » . وإنباه الرواة « ٢ : ٢١٣ » والبغيـة « ص ٣١٧ » .

(٢) مرآة الزمان « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٠٦ الورقة ١٠٠ » .

أبو القاسم (ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون [1]) ومدّ صوته وجعل يقول (هم لها عاملون) وأصرح من هذه الاضافة لا يكون « [ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم] كفاراً حسداً من عند أنفسهم [2] » . « لو استطعنا لخرجنا معكم [يهلكون أنفسهم] والله يعلم إنهم لكاذبون [3] » أي قد كانوا مستطيعين . فأخذ أبو المعالي يسترسل إلى التأويل ، فقال : والله إنك بارد تتأول صريح الكلام لتصحح بتأويلك كلام أبي الحسن الأشعري ، وأكله بالحجة فبهت ابن الجويني . وكان أيضاً في دولة عميد الملك نوع عصبية على الأشعرية وأصحاب الحديث ، فقبض أبا المعالي عن الانبساط وإلا فقد كان أحسن الناس لفظاً وأفهامهم منهُ في النظر [4] » .

وقال أبو الفرج ابن الجوزي في ترجمة أبي الحسن عبد العزيز بن الحارث التميمي المتوفى سنة ٣٧١ : « وقد تعصب عليه الخطيب وهذا شأنه في أصحاب أحمد ، فحكى عن أبي القاسم عبد الواحد بن علي الأسدي العكبري أن التميمي وضع حديثاً ، وهذا العكبري لا يعوّل على قوله فانه لم يكن من أهل الحديث والعلم إنما كان يعرف شيئاً من العربية ولم يَرو شيئاً من الحديث ، كذلك ذكر عنه الخطيب وكان أيضاً معتزلياً [5] » .

٢٣ — عبد الواحد بن محمد بن علي بن زكريا أبو القاسم

قال السمعاني : « قال ياقوت : وقفت على كتاب شرحَ فيه أشعار أبي الطيب المتنبي فأجاده وكبره وهو من أهل اصبهان [6] » .

---

(١) سورة المؤمنون ، الآية ٦٣ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ١٠٩ .

(٣) سورة التوبة ، الآية ٤٢ .

(٤) التاريخ المجدد لمدينة السلام ، نسخة المكتبة الظاهرية ، الورقة ١٣ .

(٥) المنتظم ، ٧ : ١١٠ .

(٦) الوافي بالوفيات ، نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٦ الورقة ٢٨٤ .

٢٤ — عبيد الله بن أحمد بن خرداذبه أبو القاسم

قال الصفدي : كان خرداذبه مجوسياً أسلم على يد البرامكة ، وتولى أبو القاسم هذا البريد والخبر بنواحي الجبل ، ونادم المعتمد واختص به قال ياقوت في معجم الأدباء : وكان أبوالفرج الاصبهاني إذا أورد عنه شيئاً في كتابه أرقمه (كذا) بالوقيمة فيه والتنقص له بقوله : إنه كثير التحصيل (كذا) . ومن تصانيفه كتاب المسالك والممالك ، كتاب أدب السماع ، كتاب الطبيخ كتاب اللهو والملاهي ، كتاب جمهرة الأنساب للفرس ، كتاب الأنواء ، كتاب الندامى والجلساء ، كتاب الشراب ومن شعره :

في مثل وجهك يحسن الشعر ... ويكون فيه لذي الهوى عذرُ
ما إن نظرت إلى محاسنه ... إلا تداخلني له كبرُ
تزين الدنيا بطلعته ... ويكون بدراً حين لا بدرُ [1] »

(تتمة)

قال محب الدين محمد بن النجار : « عبيد الله بن أحمد بن خُرداذبه أبو القاسم الكاتب ، كان جدُّه خرداذبه مجوسياً فأسلم على يد البرامكة ، وتولى عبيد الله هذا البريد والخبر بنواحي الجبل ونادم المعتضد وخص به ، وكان راوية للأخبار والآداب . روى عنه أبو علي السكوكي وأبو عبد الله الحكيمي ومحمد بن عبد الملك التاريخي وله مصنفات منها كتاب المسالك والممالك وكتاب الندمان والجلساء وكتاب اللهو والملاهي وكتاب الطبيخ وكتاب الشراب . قرأت في كتاب أحمد بن أبي طالب الكاتب بخطه أنبأنا ، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن إبراهيم الحكيمي أنبأني عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه قال حدثني أبي قال : كان كسرى إبرويز قد قال له

---

(١) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٤ الورقة ٢٩٧ » ، وهذا الذي ذكره الصفدي نقلا من معجم الأدباء أكثره منقول من كتاب « الفهرست » لابن النديم « ص ٢١٢ من طبعة مصر » سوى الأبيات الثلاثة وسوى تنقص أبي الفرج .

منجموه إنك تقتل . فقال : لأقتلنّ الذي يقتلني فأمر بسُمّ يخلط له في أدوية ثم كتب عليه (دواء للجماع مجرّب ، من أخذ منه وزن كذا وكذا مرّة) . وصيره في خزانة الطب ، فلما قتله ابنه شيرويه وفتش خزائنه مرّ به فقال في نفسه أيهذا الدواء كان يقوى على شيرين ، فأخذ منه فمات ، فقتله أبوه وهو ميت . أنبأنا عبد الوهاب بن علي الأمين (ابن سُكينة) عن محمد بن عبد الباقي الشاهد أن الحسن بن علي الجوهري أخبره قال أنبأنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيوبه قراءة عليه عن أبي بكر محمد بن خلف المرزبان قال أنشدت لابن خرداذبه :

في مثل وجهك يحسن الشعر ... ويكون فيه لذي الهوى عذر

ما إن نظرت إلى محاسنه ... إلا تداخلني له كبر

تتزين الدنيا بطلعته ... ويكون بدراً حين لا بدر [1] »

وقال الذهبي كما جاء في لسان ميزان الاعتدال : عبيد الله بن أحمد بن خرداذبه [2] (بضم المعجمة وسكون الراء [3] وآخره موحدة مضمومة ثم هاء ليست للتأنيث يكنى أبا القاسم ... إنه عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه ... وكان جده مجوسياً وعني هو بالكتابة ... وكان راوية للأخبار ... وكان يأتي في تصانيفه بالغرائب حتى قال بعضهم في شيء نقله عنه (كذا زعم ابن خرداذبه) وإن بك كاذباً فعليه كذبه ، وأنشد له المرزباني شعراً وسطاً ، وممن كذبه أبو الفرج الاصبهاني [4] » .

وقال أبو الفرج الاصبهاني في أخبار مغنين : « وذكر ابن خرداذبه أنه غنى في دولة بني أمية وأدرك دولة بني العباس ، وقد أصابه الفالج وارتعش وبطل ، فكان إذا غنى يُضحك

(١) التاريخ المجدد لمدينة السلام ، نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق ، الورقة ٨٠ ، ٨١ .

(٢) المطبوع في لسان الميزان « ٤ : ٩٦ (خرداذبه) وهو غلط .

(٣) في المطبوع « الواو » وهو تصحيف .

(٤) لسان الميزان « ٤ : ٦٩ » .

منه ويُهزأ به . وابن خرداذبه قليل التصحيح [1] لما يرويه ويضمنه كتبه ، والصحيح أن معبداً مات في أيام الوليد بن يزيد بدمشق وهو عنده [2] » .

وقد ضبط مؤلف تاج العروس في مادة (روم) خرداذبه بضم الخاء وسكون الراء وفتح الدال بعدها ألف وكسر الذال المعجمة وسكون الياء التحتية وآخرها هاء ، » كما قال ناشرو الأغاني ، وقد طبع كتابه « المسالك والممالك » في ليدن بهولندة من ممالك أوربة سنة ١٨٨٩ .

٢٥ — عبد الله بن عبد الرحيم أبو القاسم الاصبهاني :

قال الصفدي : أحد فضلاء أصبهان وأدبائها ، له تصانيف منها كتاب أخبار أبي الطيب ، كتاب استدرك فيه على ابن جني في كتابه الصغير المسمى بالواضح . قال ياقوت : لا أعرف من حاله شيئاً إلا أنه كان به [3] سنة إحدى وأربعمائة (كذا) [4] » .

« يتبـــع »

مصطفى جواد

(١) في نسخة « التحصيل » .

(٢) الأغاني « ١ : ٣٦ طبعة دار الكتب المصرية » . ثم نقل من كتابه في أخبار أبي سعيد مولى مائد « (كما في ج ٤ ص ٣٣٠ » وقال في ترجمة (نبيه) : « زعم ابن خرداذبه أنه رجـــل من بني تميم صليبة ... » .

(٣) لعله « حيا » .

(٤) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٤ الورقة ٣٠٠ » .